العنوان: الأسرة القروية و التغير الاجتماعي مقاربة سوسيولوجية لإتجهات التغير الأسري بالوسط القروي المغربي

المصدر: دراسات

الناشر: جامعة ابن زهر - كلية الاداب والعلوم الإنسانية

المؤلف الرئيسي: عنبي، عبدالرحيم

المجلد/العدد: ع 14

محكمة: نعم

التاريخ الميلادي: 2011

الصفحات: 43 - 78

رقم MD: 339772

نوع المحتوى: بحوث ومقالات

قواعد المعلومات: HumanIndex, AraBase

مواضيع: الأسرة القروية، التنمية الريفية، العلاقات الأسرية، التنشئة الاجتماعية، المغرب

رابط: http://search.mandumah.com/Record/339772

الأسرة القروية والتغير الاجتماعي مقاربة سوسيولوجية: لإتجهات التغير الأسري بالوسط القروي المغربي[1]

عبد الرحيم عنبي
ذ. علم الاجتماع ،
كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،
جامعة ابن زهر / أكادير

تذهب الدراسات الأكاديمية التي تهتم بقضايا الأسرة والتغير السوسيو ـ اقتصادي، إلى ربط الظواهر والوقائع المدروسة بالأحداث التاريخية والسياسية العامة، بغرض الاستناد إليها، كإضاءات ضرورية لتوضيح أسباب تطور مضامين القضايا المدروسة.

إن الأحداث الاجتماعية والاقتصادية، التي يمر منها المجتمع المغربي عموما، والوسط القروي خصوصا، تشكل منعطفات تاريخية، تطبع كل مرحلة من مراحل التطور. كما أنها تشكل المقدمات العامة، التي يتم في إطارها تشكيل الصيغ الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للأسرة. خاصة في مجتمع؛ مثل المغرب يمر بتحولات جذرية في بنياته المجتمعية وعلاقاته الاجتماعية والاقتصادية.

من هنا، فإن مقاربة اتجاهات التغير الأسري بالوسط القروي بالمغرب، سوف يسمح لنا بتوضيح بعض العوامل، التي ساهمت في بلورة مسيرة الدراسات السوسيولوجية، الخاصة بقضايا الأسرة القروية بالمغرب. أيضا، سوف تساعدنا على توضيح أهم القضايا، التي تم التركيز عليها.

لا شك، أن اعتماد فترة الحماية الفرنسية، كنقطة بداية في التحول الاجتماعي والاقتصادي، يطبع جزءا كبيرا من هذه الدراسات[2]. وفي نفس السياق ظهرت العديد من الدراسات التي حاولت أن تهتم بالمجتمع المغربي.

---

(1) نحاول من خلال هذه المقالة أن نقدم قراءة للأسرة القروية والتغير الاجتماعي بالوسط القروي المغربي، من خلال مجموعة من الدراسات، السوسيولوجية والتاريخية، التي اهتمت بهذا الموضوع، وبالتالي؛ فإن الأمر هنا لا يتعلق ببحث ميداني أجري في منطقة معينة، بقدر ما يتعلق بقراءة لمجموعة من الدراسات، التي أجريت في هذا الإطار، مع محاولة وضع أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها .

(2) عكس كتابات التاريخ الاجتماعي التي تذهب إلى أبعد من ذلك، إذ تعتبر أن تاريخ المغرب مطبوع بالتحول، ذلك أن أنظمة الإنتاج الاقتصادي ظلت في تحول مستمر لما عاشه المغرب من فترات عصيبة من تاريخه، حيث الكوارث الطبيعية و توالي سنوات الجفاف والمجاعات الكبرى التي أصابته، جعلت يتعرض لعدة تغيرات في بنياته الاجتماعية والاقتصادية. أنظر في هذا الاتجاه :محمد الأمين، البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية .الرباط .سلسلة رسائل وأطروحات رقم 18-1992 ص،151.

غير أن الفترة التي أعقبت الاستقلال، عرفت منعطفا تاريخيا، غيَّر معالم الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالمغرب، لدخوله في حياة الاستقرار والبناء، الذي دام واستمر منذ ذلك التاريخ وما يزال .و للإحاطة بهذه القضايا، فإننا سوف نعالج من خلال هذه المقالة اتجاهات التغير بالوسط القروي المغربي من خلال بعض الدراسات التي أجريت في هذا الاتجاه.

1-الإشكالية

لقد باتت إشكالية التغير الأسري، تشغل بال المهتمين والباحثين في العلوم الاجتماعية، وأكبر دليل على ذلك، هو إجراء العديد من الأبحاث والدراسات، مع التركيز على نواحي التغير الأسري .كما أن معظم الدول، بما فيها المغرب، أصبحت تولي أهمية أساسية للأسرة ولقضاياها، وذلك بنهج سياسات أسرية، بهدف حمايتها من التفكك، والحفاظ على استمرار وظائفها الأساسية، التي تقوم بها للمجتمع .

ونظرا لاختلاف وتنوع الدراسات، التي اهتمت بالتغير الأسري وأسبابه، تبعا لاختلاف وجهات نظر الباحثين، فإنه حصل هناك تعدد وتنوع في المقاربات والقضايا، التي تم التركيز عليها، بهدف مقاربة التغير الأسري بالوسط القروي بالمغرب، وفي هذا الإطار، فإن الإشكالية الرئيسية، التي سوف نحاول معالجتها في هذه المقالة، تنطلق من تساؤل رئيسي يتعلق بمقاربة اتجاهات التغير الأسري بالوسط القروي بالمغرب من خلال الدراسات الاجتماعية والتاريخية، التي اهتمت بهذا الموضوع؟ مع إبراز أهم المحاور، التي جعلتها بعض الدراسات مداخل أساسية لدراسة التغير الأسري؟ ثم سوف نتساءل عن أهم الخلاصات، التي تم التوصل إليها لتفسير التغير الأسري بالوسط القروي بالمغرب .

لمعالجة هذه الإشكالية، لا بد من تحديد المفاهيم المستعملة في هذه المقالة العلمية كما أشير، إلى أن الاهتمام بالتقدم الاجتماعي والاقتصادي قد شكل مدخلا أساسيا لدراسة الأسرة بالمغرب، مما ساهم في ظهور عدد من الدراسات العامة والمتخصصة عن الأسرة بالمغرب، باللغة العربية و الفرنسية والإنجليزية.

سوف نجيب عن هذه الإشكالية من خلال محورين اثنين.

الأول : يتعلق بتحديد المفاهيم التي وردت ضمن هذا العمل.

الثاني : تحديد أهم اتجاهات التغير الأسري بالوسط القروي المغربي.

2. تحديد المفاهيم

1.2. مفهوم التغير الأسري*

التغير الأسري هو تلك التغيرات والانتقالات، التي تحدث في أدوار ووظائف أعضاء الأسرة. إن توجهنا في هذه الدراسة هو أننا نعتبر التغير الأسري هو جزء من التغير الاجتماعي العام، الذي يحدث في المجتمع مع مرور الزمن. إن أدوار ووظائف النظم والتنظيمات والمؤسسات الاجتماعية، داخل المجتمع، تتغير من مرحلة زمنية لأخرى .كما أن، ما يقوم به أعضاء هذه التنظيمات، من أدوار ووظائف، يطرأ عليها تعديل وتغير من مرحلة زمنية لأخرى(2). تختلف هذه التغيرات حسب تأثيراتها وسرعتها. كما أن التغير الاجتماعي، يعد خاصية أساسية تميز المجتمع والأسرة، وهي نتيجة عدة تفاعلات، اقتصادية وسياسية واجتماعية(3). وهذا ما يجعل من التفاعل* عنصرا أساسيا في عملية التغير الاجتماعي .

لقد تمت دراسة التغير الأسري ، ودراسة الأسرة والقرابة في القرن التاسع عشر، في إطار النظرية التطورية، حيث افترض العلماء التطوريون، أن الزواج والأسرة، قد تطورا من مرحلة الإباحية الجنسية، إلى الأشكال المختلفة من الزواج الجمعي ، حتى وصلا إلى مرحلة الزواج الأحادي(4).

أما الدراسات الأنثروبولوجية، فإنها قد مالت في مقاربتها للتغير الأسري، إلى دراسة الأنساق القرابية والبناءات الأسرية .أما علماء الاجتماع ، فإنهم مالوا لدراسة إشكاليات التحول التي تواجه الأسرة في المجتمعات الصناعية المعاصرة ، مما أدى إلى ظهور عدة تغيرات على أنساق القرابة وأشكال الأسر(5).

(*) تتحكم في التغير الأسري عدة عوامل، كالعامل الجغرافي والاقتصادي و السكاني و كذلك عامل التطور التكنولوجي، بمعنى أن التغير الأسري هو حصيلة تفاعل بين مختلف التطورات التي يعرفها المجتمع، ولا أتفق مع الأطروحات التي بنت التغير الأسري على عنصري التصنيع والتمدن :أنظر في هذا الاتجاه . Placide Rambaud . Op. Cit. P. 43

(2) Guy Rocher. Introduction à la sociologie générale, Le Changement social, Ed, H M H, 1968. P. 22-24

(3) عبد القادر، القصير .الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر . بيروت ، الطبعة الأولى ، 1999 ، ص.77.

(*) أقصد هنا التفاعل بين الأفراد والمؤسسات والتفاعل كذلك ، مع المحيط.

(4) السيد، الحسيني. مفاهيم علم الاجتماع ، الطبعة الثانية ، دار قطري بن فجاءة للنشر والتوزيع ، 1987، ص. 72 .

(5) السيد، الحسيني .مرجع سبق ذكره .ص، 77.

من الطبيعي أن يؤدي ذلك، إلى ظهور بعض التعميمات، التي حاولت الربط بين أشكال الأسرة وتغيراتها، بعناصر البناء الاجتماعي الأخرى، ومن أهم هذه التعميمات تناول طبيعة العلاقة بين الأسرة والمجتمع، فالأسرة النووية تعد ظاهرة عالمية ، باعتبارها تؤدي وظائف اجتماعية ضرورية. فأعضاء الأسرة، مثلا في حاجة خلال فترة الرعاية والتنشئة الاجتماعية إلى النضج، وتلك هي الوظيفة الأساسية للأسرة النووية. والواقع؛ أن أداء هذه الوظيفة لا يتوقف كثيرا على شكل وحجم الأسرة أو على القرابة أو أعراف الزواج أو حتى أداء الأسرة لوظائف إضافية. بل يتوقف وبدرجة كبيرة، على طبيعة العناصر الأخرى في المجتمع .

إن الأسرة تتولى عملية التنشئة الاجتماعية. غير أنها لا تخلق هي ذاتها القيم والأعراف التي تلقنها للطفل، على اعتبار أن هذه القيم آتية من مصادر أخرى ؛ كالدين والعرف والتقاليد ووسائل الإعلام والمدرسة[6]. من هذا المنطلق، فإنه يمكن القول، أن الطابع الخاص للأسرة النووية في أي مجتمع ، يتحدد من خلال النظم الاجتماعية الأخرى السائدة فيه .كما أنه ، يمكن القول أن التغير الاجتماعي يحدث بداية في النظم الاجتماعية الأخرى، فسرعان ما تستجيب له الأسرة.

لا بد كذلك، من الإشارة إلى أن هناك اتجاها لدى العديد من علماء الاجتماع، على أن التصنيع يحدث تأثيرات بالغة على البناء الأسري، وقد ارتبط التغير الأسري في جزء كبير منه بالاقتصاد الصناعي[7]. ينبغي الإشارة أيضا، إلى كون الأسرة تتغير تبعا لمتطلبات التنمية الاقتصادية.

اهتمت الدراسات السوسيولوجية، بالبحث في علاقة الأسرة بالتغير المجتمعي .كما اهتمت بتحديد أسباب التغير الاجتماعي، في إطار اشتغالها بهذا الموضوع. لقد ذهبت بعض هذه الدراسات، إلى كون عوامل التغير الأسري خارجية، مع تجاهلها لدور الأسرة في عملية التغير. كما أن التغير الحادث فيها هو رد فعل للتغير في العوامل الأخرى[8]. يعلل هؤلاء الباحثون، هذا الطرح بكون المتغيرات الأساسية المتسببة في التغير الأسري، تتمثل في التصنيع والتحضر وما يصاحبها من عمليات اجتماعية / الهجرة الداخلية والخارجية، ومن خلال هذه المتغيرات ينظر إلى الأسرة على أنها متغير تابع .كما ذهب بعضهم إلى

(6) نفس المرجع السابق ذكره.ص .77 .

(7) السيد، الحسيني. مرجع سبق ذكره . ص.78 .

(8) عبد الرؤوف، الضبع .علم الاجتماع العائلي .دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية .2002. ص.95.

ربط المتغير الأسري بالتغيرات، التي تطرأ على قيم المجتمع[9]. لكن ما نذهب إليه في هذه العمل؛ هو أن التغير الأسري جزء من تلك التغيرات الأكبر والأوسع، التي تحدث في المجتمع العام كنتيجة لتطوره .

2.2. الأسرة : من التحديد الاصطلاحي إلى المفهوم السوسيولوجي

إن الحديث عن مفهوم الأسرة، يدفعنا في البداية إلى التحديد الاصطلاحي، فالأسرة لغة تعني الدرع الحصينة، وأهل الرجل و عشيرته، وتطلق كذلك، على كل جماعة يربط بين أعضائها أمر مشترك[10]. أما من الناحية السوسيولوجية؛ فهي نواة المجتمع ومحور العلاقات القرابية .غير أنه، ينبغي الإشارة إلى أن مفهوم القرابة لا يرادف مفهوم الأسرة؛ بمعنى أنه، برغم من ترابطهما، فإنهما لا يشيران إلى نفس المعنى[11].

تعد الأسرة بنية أساسية في تكوين شبكة من العلاقات، تضم أكبر عدد من الأقارب ، سواء عن طريق المصاهرة ، أو رابطة الدم[12]. وبهذا المعنى ؛ تكون الأسرة هي جماعة الأشخاص ، الذين تربطهم علاقة دم والذين يعيشون في بناية جماعية يطلق عليها " دار /تكمي"[13]. إنها تلك المؤسسة، التي تشمل رجلا يعيش زواجيا مع امرأة أو عددا من الرجال يعيشون زواجيا مع عدد من النساء، ومعهم الخلف والأحياء والأقارب الآخرون، وكذلك الخدم[14]. تقوم بالخدمات الاقتصادية لأعضائها، وتتحمل مسؤولية تعليمهم وتوجيههم دينيا وقيميا حتى ينسجموا مع المجتمع، الذي ينتمون له .كما تمنحهم الحماية من الخطر وتوفر لهم الحنان والحب والإشباع الجنسي.

لقد تعددت التحديدات لهذا المفهوم عند الباحثين، بحيث هناك من يستعمل مفهوم المؤسسة الاجتماعية "Institution Sociale" ، التي تعني نسقا من الضوابط السلوكية أو أنساقا من المعايير الاجتماعية المتماسكة تستهدف توجيه الأفراد [15]نحو أهداف تتلاءم وقيم الجماعة .

---

(9) عبد الرؤوف، الضبع ، مرجع سبق ذكره ص، 95.

(10) الزيات ، حسن . حامد ، عبد القادر . وآخرون . المعجم الوسيط ، القاهرة ، مطبعة مصر . 1961/1960 ص.18 .

(11) أنظر في هذا الاتجاه :

(12) وسام، العثماني «العائلة العربية» دراسات في المجتمع العربي المعاصر .تحرير خضر زكرياء .الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع .سورية. دمشق.الطبعة الأولى .1999. ص .177.

(13) Nouzha, Ben Salah . Familles Turques et Maghrébines aujourd'hui, Evolution dans les espaces d'origine et d' immigration . Ed , Maisonneuvé et larose, Paris, 1994 . P.10.

(14) Willens, Emilio. Dictionnaire de la sociologie , Ed, Mercel R , Paris, 1961. P. 90.

(15) عمر معين خليل .علم الاجتماع الأسرة .دار الشروق للنشر والتوزيع. 1994. ص. 1 .

تذهب دراسات أخرى، إلى استعمال مفهوم جماعة منزلية (Ménage) ، وهو مفهوم يتأسس على إقامة مجموعة من الأشخاص ببيت واحد، مشكلين وحدة استهلاك[16] أساسية. يستعمل هذا المفهوم، في الغالب، من طرف الباحثين الاقتصاديين والديمغرافيين بالأساس .

تتخذ الأسرة أشكالا متعددة، بحيث تتقلب بين الأسرة النووية، ثم الأسرة الممتدة ، فالأسرة الزوجية. كما يبقى مفهوم الأسرة متنوعا بين الدراسات والباحثين حسب الخلفيات السوسيولوجية والاقتصادية والإيديولوجية، التي تتحكم في كل باحث على حدة. وبناء عليه تبقى الأسرة هي جماعة الأفراد الذين تربطهم علاقة دم ويعيشون تحت سقف واحد أو في نفس المجموعة السكنية[17]، ويقومون بمجموعة من الخدمات الاجتماعية والاقتصادية .كما أن مفهوم المؤسسة يبقى أوسع وأشمل من مفهوم الجماعة المنزلية Groupe domestique ، إذ يظهر الأسرة؛ كمفهوم يقوم بوظائف وأدوار عدة، بينما يظهر مفهوم الجماعة المنزلية Groupe domestique نوعا من التقلص في حجم الأسرة.

فالأسرة إذن، هي الخلية الأساسية والرابطة المتينة، التي تضمن استمرار المجتمع وازدهاره[18]. ويشكل الزواج الرابطة الأساسية لإنشاء أسرة تحت رعاية الزوجين[19]، على أسس مستقرة للمتعاقدين لتحمل أعبائها في طمأنينة وسلام وود واحترام[20]. إنها ذلك المكان الذي يجتمع فيه دخل اقتصادي أو أكثر ، الذي يكتسبه كل فرد من عمله . تشكل الأسرة إذن؛ نقطة توزيع هذه المداخيل، كمصاريف حسب أنواع الاحتياجات الأساسية للأسرة[21]. وبالتالي فهي؛ وحدة استهلاك (Unité de consommation) تستهلك المواد الغذائية، ومواد العلاج والتطبيب ومستلزمات الصحة التي تتزايد مع تزايد السن . أما الأسر الشابة؛ فإنها تعرف مصاريف عديدة في النقل واللباس وكذا السكن [22].

(16) Willens, Emilio. Dictionnaire de la sociologie , Op . Cit ; P. 90.

*** Direction de la Statistique. Etudes démographiques, Famille à Fès. Changement ou continuité , les réseaux de solidarité familiale, Rabat, 1991, P. 13.

(17) Castellon, Yunne. «La Famille », Que sais- je . 2eme Ed, Presses Universitaires de France, 1986. P.3.

(18) وزارة التشغيل والشؤون الاجتماعية، الميثاق الوطني للأسرة، السنة الدولية للأسرة، .1994 ص. 5.

(19) من أهم القضايا، التي اهتمت بها مدونة الأسرة ، نجد مسألة المساواة في رعاية الأسرة بين الرجل والمرأة ، بحيث أصبحت الزوجة متساوية مع زوجها في السهر على رعاية الأسرة ، وذلك باعتبارهما طرفا أساسيا وشريكا للرجل في الحقوق والواجبات، على عكس مقتضيات مدونة الأحوال الشخصية التي كانت تضع الأسرة تحت رعاية الزوج .

(20) عبد الفتاح، بنوار .قانون الأحوال الشخصية والأسرة، المجموعات القانونية والقضائية المغربية، MAJURIS 1995 .11.

(21) Castellon, Yunne. Op. Cit., P . 267.

(22) Ibid ; P . 267.

لم تكتف الأبحاث والدراسات، التي تناولت موضوع الأسرة، بالتعامل معها، كمؤسسة اجتماعية فقط، Institution sociale أو كونها جماعة منزلية Groupe domestique ، بل ذهبت بعض الدراسات إلى اعتبارها خلية اجتماعية Cellule sociale[23] تعد أساس البناء الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للمجتمع.

تلعب الأسرة دورا أساسيا في المجتمع، وذلك عن طريق ما تمارسه من وظائف اجتماعية واقتصادية وبيولوجية؛ من قبيل الولادات والزواج والطلاق وكذلك، الوفيات أو الاحتفالات[24]. هذه الأحداث، هي التي تظهر أحيانا تماسك الأسرة و تظهر أحيانا أخرى تفككها .كما أنها تؤدي إلى توترات في الجماعة وفي النسق القرابي، بل أكثر من ذلك تشكل ضغطا على المجتمع، وخاصة الولادات، التي تشكل ضغطا ديموغرافيا، يزيد من متطلبات الأسرة وكذا نفقات الدولة بخصوص الصحة والتعليم والعمل. تشكل هذه المجموعة إذن، وحدة استهلاكية أساسية Unité de consommation . كما أن العلاقات التي تنشأ بين أفرادها تحكمها قيم أخلاقية واقتصادية.

إنها جماعة القرابة، التي تشكل وحدة اقتصادية، تتأسس على نسق من القيم، وتقوم حياتها العملية على توزيع الأدوار بين أفرادها، مراعين في ذلك ، عاملي السن والجنس، بل أكثر من ذلك فهي جماعة خاضعة للسلطة. هناك إذن، أحداث و تفاعلات تقع في محيط الأسرة، الشيء الذي يجعل منها مؤسسة متغيرة باستمرار، في سياق التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي يعرفها المجتمع.

3.2. مفهوم الأسرة في القانون

لقد احتل موضوع الروابط الأسرية، مكانة هامة لدى المشرع ، ذلك أن أهمية الأحوال الشخصية[25]، نابعة من ارتباطها بالأسرة. وتزداد أهمية التشريع القانوني الخاص بالأسرة[26] بازدياد وارتفاع وتيرة التغيرات الاقتصادية الثقافية والسياسية، التي تعرفها

(23) Ministère de l'Emploi et Des Affaires Sociales. Charte Nationale de la famille, Année Internationale de la Famille, 1994. P.5.

(24) Ibid ; P 5

*** Direction de la Statistique, Famille à Fès, Op. Cit., P. 13.

(25) يقصد بالأحوال الشخصية مجموع ما يتميز به الإنسان عن غيره من الصفات الطبيعية العائلية التي رتب عليها القانون أثرا قانونية في حياته الاجتماعية، عن محمد، بلتاجي -دراسات في أحكام الأسرة، مكتبة الشباب، 1990 ص. 93 . أشير كذلك أن المملكة المغربية قد استبدلت مدونة الأحول الشخصية بمدونة الأسرة .

(26) أعتقد إن التشريع القانوني الجديد الخاصة بالأسرة - مدونة الأسرة - من شأنه أن يحمي كل أعضائها، سواء تعلق الأمر بالمرأة أو الطفل أو الرجل، نظرا للتدقيق في قضايا الأسرة وهذا ما لم يكن حاضرا في مدونة الأحوال الشخصية .لكن مسألة الكد والسعاية لم يتم التطرق لها بما فيه الكفاية.

المجتمعات. فالأسرة من الناحية القانونية، هي إطار لعلاقات متعددة، تتحكم فيها التقاليد والأعراف وقيم المجتمع. إنها فضاء ثقافي، وتاريخي يعكس خصوصيات المجتمعات[27].

تتكون الأسرة ممن توثق بينهم رابطة القرابة؛ كأن تكون قرابة مصاهرة ناتجة عن الزواج .تحق القرابة كذلك؛ بين الأشخاص الذين يجمعهم نسب مشترك، خاصة إذا كانت بين الأصول والفروع؛ كقرابة الشخص بأبيه وجده مهما علا، وكقرابته بابنه وحفيده مهما سفل .تعرف هذه القرابة بقرابة الولادة، أو القرابة على خط النسب، أو قرابة مباشرة. فإذا كانت هذه القرابة بين من ينتمون إلى أصل مشترك، دون أن تقوم بينهم صلة الأصل بالفرع، سميت بقرابة الحواشي، ومثلها قرابة الشخص بأخيه وأخته، وبعمه وبعمته، وبعم أبيه وعمته، وخاله وخالته ، وبأبناء أحفاده، وبهؤلاء جميعا[28]. في سياق هذه القرابة، تتشكل الأسرة وروابطها المتينة .تحسب درجة القرابة على خط النسب بالعد صعودا أو نزولا، بحسب الأحوال مع احتساب كل أصل أو فرع درجة . فالأب قريب من الدرجة الأولى، شأنه في ذلك، شأن كل من الأم والابن والابنة، بينما الجدة قريبة من الدرجة الثانية، مثل، الجد والحفيد والحفيدة[29]. كما توجد للأسرة مجموعة من القوانين التنظيمية، التي يخضع لها الفرد وتضمن حرياته[30].

4.2. الأسرة القروية :من مفهوم المؤسسة إلى مفهوم " الكانون"و" الخيمة"

أما الأسرة القروية فهي بدورها لا تخرج عن هذا التحديد؛ إنها مؤسسة اجتماعية لها وظائف أساسية، كتنظيم السلوك الجنسي والإنجاب، ولها وظائف اقتصادية معينة تقوم بها من أجل تأمين الحياة بالنسبة لأعضائها[31]، ترتبط بالأرض والمسكن. أما علاقاتها الداخلية والخارجية؛ فإنها تتحدد على أساس السن والجنس والنسق القرابي. كما تختلط فيها علاقات العمل بالعلاقات الأسرية، بحيث تعتبر مجالا يضم الاثنين[32]. تشكل الأسرة والاستغلالية الفلاحية كلا غير قابل للتجزؤ[33]، حيث تلتصق فيها الجماعة بالأرض .أما

(27) حاولت صياغة هذا التعريف من خلال إطلاعي على كتاب محمد، بلتاجي . مرجع سبق ذكره .

(28) صلاح الدين، زكي .أحكام قانون الأسرة في الفقه الإسلامي والتشريع المغربي . 1985 . ص.5 .

(29) نفس المرجع السابق ذكره، ص. 5 .

(30) Segalen , Martine . Op. . Cit. , P. 292.

(31) أحمد عدنان، مسلم .دراسات في علم الاجتماع الريفي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، . 1983 ص. 5 .

(32) 32 Alice, Bartnez. Famille, travail et agriculture, Economica 49 Mettericast. 1982. P. 182.

(33) Encyclopédie Universelle. France, S.A, 1980. P. 902.

النشاط الإنتاجي، فإنه لا يعتبر هدفا اقتصاديا فحسب، بل يجل ويعظم من طرف أعضائها؛ لكونه يتضمن عناصر التماسك الاجتماعي فيما بينهم. تتعدد أشكال الأسرة القروية، إذ هناك الأسرة الممتدة والنووية، ثم الجماعة المنزلية والأسرة الزوجية. لقد اتخذت الأسرة القروية بالمغرب، مفهوما أساسيا ليميزها اقتصاديا واجتماعيا، وهو مفهوم" الكانون "le feu" (34) القريب من مفهوم الجماعة المنزلية عند "Mendras" " (35).

يشير الكانون إلى الجماعة البشرية، التي تعيش تحت سقف واحد، وتستهلك ما تنتجه هذه الجماعة التي لها نشاط اقتصادي جماعي، يتجلى أساسا في الأنشطة الزراعية، ثم الرعي وكذا بعض الصناعات التقليدية الصغيرة (36). إن ما يميز هذه الجماعة، كونها ترتبط بعلاقات دموية أو زواجية .كما يقصد "بالكانون"(37)، مجموعة الأشخاص القاطنين في محل واحد، والمكونين لزمرة عائلية تعتبر واحدة .قد تضم الجماعة الموسعة أو العائلة الكبيرة باخام أكسواتا (38) في أحضانها عدة أسر زواجية، تحت سقف واحد وتكون فيها القيادة للأب، إضافة إلى كون ميراث الأرض ينتقل فيها عن طريق الأب(39)، أي أن الميراث يسير في خط أبوي .

تتخذ الأسرة القروية من الزواج قناة أساسية لتقوية الروابط الداخلية، وكذا لتقوية مقدرة الأسرة على الإنتاج الاقتصادي، وذلك بتوفير اليد العاملة والحرص على استمرارها واستمرار التقاليد العرفية .كما تزيد الإنتاجية من قوة الارتباط بين أفراد الوحدة الأسرية، فالعلاقة بين الزوج والزوجة، هي في آن واحد علاقة إنتاجية. أ يضا ؛ فالعلاقة بين الآباء والأبناء(40)، هي الأخرى تتحدد من خلال الإنتاجية. ولعل أكبر تحول تعرف الأسرة القروية اليوم هو اضطراب هذه العلاقات الإنتاجية، خاصة بين الآباء والأبناء (***).

---

(34) مديرية الإحصاء، الإحصاء العام للسكان والسكنى 1994، الرباط.

(35) Hainard François. Sociologie de la paysannerie, Approche pluraliste de la collectivité paysanne Ed, Peter. lang, Berne, 1981 . P. 150.

(36) اعتمدت على استمارات الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة1994 ، قسم الربائد، مديرية الإحصاء، الرباط.

(37) أحمد، التوفيق. المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1850- 1912) ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أطروحات ورسائل (1) الرباط ، .1983 ص .182.

(38) رحمة، بورقية .الدولة والسلطة والمجتمع، دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، بيروت دار الطليعة، . 1991 ص.183.

(39) مصطفى، بوتفنوشت .أحمد، دمري .العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة. ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر1984. ص. 37 .

(40) المختار، الهراس «العمل والعائلة : دراسة سوسيولوجية لمشتركات قروية بشمال المغرب» . مقاربات امرأة موزعة، نشر الفنك، الدار البيضاء 01 المغرب ، فضالة المحمدية، نونبر، 1988 ص . 17.

*** إن بروز الفرد الاقتصادي واستقطاب الورشات المهنية بالمراكز الحضرية أو الوظائف أدى إلى تفكك العائلة الممتدة مما ساهم في إختلال العلاقة الانتاجية بين الآباء والأبناء .لكن في المناطق التي عرفت هجرة دولية تم إعادة إنتاج هذه العلاقة بقوة.

إن ممارسة الأدوار داخل الأسرة، تكون تلقائية ودون مكافأة أو حصول على أجر. إنها أدوار متأصلة في بنية الأسرة، فضلا عن كونها تدرب أعضاءها على القيام بأعمال منتجة .فالأسرة القروية المغربية، نسجت حولها منذ أمد بعيد قيما ثقافية عديدة، تربط بين الإنسان والأرض، وتربط بين الاقتصاد والرموز الدينية والأخلاقية(41). إنها وحدة يتداخل فيها الاجتماعي والاقتصادي والديني والثقافي.

من أهم الاصطلاحات، التي كان يشار بها إلى الأسرة بالوسط القروي المغربي، نجد مصطلح" الخيمة "(42) فيقال خيمة*"أيت فلان"، بمعنى أسرة "أيت فلان"، ومنه قول الأب لابنه" ادخل لخيمتكم" ، بمعنى أدخل إلى منزلكم .ومنه قول أحد المبحوثين كان في دوارنا عشرون" خيمة"، بمعنى عشرون أسرة .ومن هنا تكون الخيمة بالوسط القروي المغربي تشير إلى المسكن من جهة، وإلى الجماعة البشرية التي تسكنه، من جهة ثانية***. يرتبط أعضاؤها بعلاقات دموية وزواجية . أما "الكانون"(43)، فحسب الاستعمال داخل المنطقة، فهو يشير إلى الأسرة النووية. وتبقى" الخيمة "أكثر اتساعا من" الكانون"، بحيث تشير إلى الأسرة الممتدة . ولعل هذا الاسم هو اشتقاق من الخيمة، التي كانت هي

---

(41) المختار، الهراس «العمل والعائلة :دراسة سوسيولوجية لمشتركات قروية بشمال المغرب » مرجع سبق ذكره ص.18 .

(42) تشير الخيمة حسب الاستعمال المحلي إلى الدار و كذلك ، إلى الأسرة .كما تشير إلى الخيمة التي تصنع من شعر الماعز.

(*) من أهم الأدبيات التي استعملت هذا المفهوم(الخيمة)، محمد، شقرون (نظام القرابة والعائلة في المجتمع المغربي) مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 13 السنة 1987 ص 61 ، ويشير الأستاذ شقرون محمد إلى استعمال مفهوم الدار والتي تدل في الممارسة اليومية عند المغاربة على الأسرة، نفس المرجع السابق ص 61 و لم يتم استعمال مفهوم الخيمة للدلالة على الأسرة بالوسط القروي المغربي فقط، بل وجدت نفس المفهوم استعمل بالريف الجزائري ، أنظر : مصطفى، بوتفنوشت .العائلة الجزائرية ، التطور والخصائص الحديثة، (أطروحة دكتوراه باللغة الفرنسية) ترجمها إلى اللغة العربية دمري أحمد نشر ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون الجزائر 1984 ص3 أثار الأستاذ محمد ، شقرون . إشكالية مفهوم العائلة بالمغرب في مقالة نشرت له تحت عنوان : مفهوم العائلة : استعمالاته وتطبيقاته في المجتمع المغربي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية . الرباط .العدد 11. السنة 1985. ويذهب الأستاذ إلى تبيان التناقض الحاصل بين الواقع الاجتماعي المغربي و الاسقاطات المفاهيمية التي تم استعمالها بل يذهب إلى كون بعض المفاهيم (العائلة البطريركية / العائلة النووية) صارت لا تخضع للمراقبة العلمية، وفي نظري أن الخطأ الذي وقع فيه الباحثون على مستوى تحديد مفهوم دقيق للأسرة المغربية كونهم حاولوا إسقاط مفاهيم من خارج المجتمع المغربي، بمعنى أنها ذات حمولة اجتماعية مختلفة عن واقعنا .

***أنظر في هذا الإطار : عبد الرحيم، عنبي . الأسرة القروية والتحولات السوسيو- إقتصادية ، دراسة سوسيولوجية ميداني - بني عمير الشرقيين- بني ملال نموذجا ، بحث لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط 2005 ص.59/ 60 .

(43) يقصد به الموقد الذي يوضع عليه قدر الطعام ويدل ، كذلك ، على الأسرة، وأعتقد أن مفهوم الكانون هو دلالة واضحة على حجم الاستهلاك وبالتالي حجم الأسرة، ومن خلال المقابلات الميدانية فإن الساكنة تستعمل مفهوم الكانون للدلالة على النواة الأسرية، وبالتالي فإنني أرى أن الكانون لا يشير في الاستعمال اليومي عند ساكنة بني عمير إلى العائلة بقدر ما يشير إلى عدد النوايا الأسرية التي تتكون منها الأسرة الممتدة، وحسب البحث الميداني كذلك فإن كل ابن متزوج سواء عنده أبناء أو لا، ويعيش مع ولديه وباقي الاخوة فإنه يكون كانونا .

المسكن الرئيسي، والأساسي للساكنة بالمنطقة، خاصة وأنهم كانوا رعاة، تقوم حياتهم على الترحال. لهذا كانوا يتخذون من الخيام سكنا لهم، لسهولة نقلها من مكان إلى آخر . كما أن هناك تقابل بين" الخيمة "المسكن و" الخيمة " الأسرة في وظيفة الحماية.

فالخيمة المسكن، كانت تحمي الفرد وتقيه من شدة البرد وحر الشمس، و"الخيمة " الأسرة تحمي الفرد اقتصاديا واجتماعيا .لم تكن إذن، هذه التسمية اعتباطية، بل كان لها اشتقاق مما هو مادي ووظيفي.

تعد ظاهرة الملك المشاع بين أعضاء الأسرة القروية خاصية عالمية، إذ تقوم الأسرة على عدم تقسيم الأرض أو الخيرات(44). تبقى الأسرة القروية نفسها خاضعة لتيارات التحول، التي تفعل فيها من جراء الاحتكاك بالمدينة، وتدخل الدولة بالوسط القروي. مما أعطى لهذا المفهوم تنوعا وثراء.

أعتقد، أن مختلف الحقول المعرفية اهتمت من جهة، بإعطاء مفهوم يميز الأسرة، ومن جهة ثانية، ذهبت إلى توضيح أهميتها في المجتمع وأهمية أعضائها وكذا أهمية التفاعلات الحاصلة فيما بينهم.

على العموم تبقى الأسرة (45) في الأبحاث السوسيولوجية، وكذلك في مختلف باقي الأبحاث في العلوم الاجتماعية والدينية تدل على:

1. كونها أهم مؤسسة اجتماعية تؤسس المجتمع عن طريق خلق شبكات علائقية، سواء عن طريق قرابة الدم أو عن طريق المصاهرة.

2. معظم التحديدات المفاهيمية تؤكد على أن الأسرة تتكون من أعضاء يرتبطون عن طريق:

أ. الزواج : كما هو الشأن بالنسبة للزوجين وكل من يدخل في شبكة المصاهرة والتحالف الزواجي *Alliance matrimoniale*.

ب . رابطة الدم : شأن الأب والأم والأبناء .

ج . التبني : شأن الابن المتبنى من أسرة أخرى.

---

(44) لويخ ترومان. مرجع سبق ذكره، ص. 11 .

(45) يشير Henri Mendras في كتابه: Éléments de sociologie, Armand . Colin, Paris 1975 Chapitre 8 , La Famille: Parenté Groupe Domestique et Mariage بأنه ليس هناك لمصطلح الأسرة معنى واضح ومحدد في اللغة الفرنسية، إذ يشير إلى مجموعة من الأشخاص(الأب، الأم،الأبناء والمرتبطين برابطة الدم، فمصطلح أسرة يعني الأشخاص الذين يعشون في منزل واحد .

3. تؤكد معظم الدراسات على كون أعضاء الأسرة يقيمون في منزل واحد ، ويعيشون حياة اجتماعية واقتصادية واحدة.
4. تؤكد هذه الدراسات والأبحاث على تراتبية كل أعضاء الأسرة بحسب مكانتهم وأدوارهم المحددة لكل واحد منهم داخل الأسرة.
5. تؤكد الأبحاث على وجود التزامات متبادلة بين كل أعضاء الأسرة ، سواء تعلق الأمر بالتزامات اجتماعية أو اقتصادية أو قانونية.

أسوق بخصوص الالتزامات القانونية ، عقد الزواج ، الذي يؤكد الالتزام القانوني بين الزوج والزوجة ، ثم دفتر الحالة المدنية وهو التزام بين الأب والأبناء، وبموجب هذا الالتزام يتم انتساب الأطفال قانونيا إلى الأب. كما تتبادل الحقوق والواجبات و الرعاية والإنفاق بين أعضاء الأسرة بمقتضى هذه الالتزامات.

6. تؤكد معظم الأبحاث أن الأسرة ذات وجود عالمي وأنها تتأسس انطلاقا مما يقره المجتمع من قيم وعادات وتقاليد وانطلاقا مما تقره الشرائع الدينية والوضعية.
7. تقوم الأسرة بوظائف أساسية تجاه المجتمع ، وذلك بهدف المحافظة على استمرارية النوع البشري، والمشاركة في تنظيم كل الممارسات والسلوكيات القائمة في المجتمع ، ولأجل ذلك فهي تقوم بتنظيم السلوك الجنسي وتنظيم الإنجاب ، هي التي تمنح المكانة الاجتماعية للفرد وتقوم بمراقبة وضبط السلوك الاجتماعي.

يمكن القول، أن الأسرة هي نظام اجتماعي، يقوم في أساسه على مجموعة من القواعد التي يقرها المجتمع، يرتبط أعضاؤها بعلاقات دموية أو زوجية. كما أنها تتغير باستمرار، إذ تختلف بحسب اختلاف المجتمعات، بحسب اختلاف المراحل التاريخية، بل تختلف داخل المجتمع الواحد بحسب اختلاف الفترات الزمنية.

فالأسرة تتأثر بالنظام الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع العام ، وتؤثر فيه ، كذلك ، عن طريق تفاعلها معه أثناء قيامها بوظائفها ومزاولتها لأدوارها. يمكن القول، بأن الأسرة هي اللبنة الأساسية في تكوين المجتمع .

الأسرة إذن، تشكل الجماعة الأولية للمجتمع .كما أنها تشكل مؤسسة اجتماعية نظرا للعلاقات البنيوية والوظيفية التي تقوم بها، ونظرا للمعايير التي تقوم عليها وللوظائف التي تؤديها .تفهم الأسرة دائما من خلال صورتها الأصلية أو ما يطلق عليه : الأسرة الأصلية

Elementary Family والأسرة النووية Nuclear Family التي تتكون من الزوج والزوجة والأولاد المنحدرين منها[47] .

يرتبط أعضاء الأسرة النووية فيما بينهم من خلال الزواج، إذ ترتبط كل أسرة نووية بأسرتين عند النشأة وهما أسرة الزوج وأسرة الزوجة، وتكون الروابط بين الأسرة النووية على هذا النحو نسقا مركبا للعلاقات، التي تشكل المؤسسة الأسرية[48]. أما التغير الاجتماعي فهو تبدل في الأحوال الاقتصادية والاجتماعية العامة للمجتمع، يساهم هذا التغير أو التبدل في تطور أنماط الأسرة وفي تطور وظائفها وتلبية حاجياتها.

3. اتجاهات التغير الأسري بالوسط القروي المغربي

1.3. الأسرة القروية في مواجهة تيارات التغير

شكلت الأسرة القروية، منذ قرون طويلة الركيزة الأساسية للبنية الاجتماعية وذلك بفضل صمودها أمام عوامل التحول، في الوقت الذي تأثرت فيه مختلف التشكيلات الاجتماعية والبنيات القبلية[49]، بالكثير من الأزمات الاقتصادية و الصراعات القبلية وبالكوارث الطبيعية، التي تمثلت أساسا في الجفاف والمجاعات والأوبئة [50]. لقد شكلت الظروف المناخية والاقتصادية والتاريخية، المتمثلة أساسا في عامل الاستعمار منطلقا حقيقيا لتحولات عميقة ، وانتقالا فعليا إلى أشكال اجتماعية واقتصادية جديدة [51]، مما ترك أثرا بالغا على مختلف مناحي الحياة المجتمعية .

لم تعمل هذه العوامل على تحول البنيات القبلية فقط، بل أدت إلى اندثارها، في بعض الأحيان، بشكل نهائي من المجتمع . إلا أن الأسرة القروية استطاعت بفضل قدرتها وقوتها على المقاومة، أن تتجاوز في كثير من الأحيان عوامل التحول التاريخي، مع تمكنها من

---

(47) أحمد، زايد . «الأسرة والمدينة والخدمات الاجتماعية المنظور السوسيولوجي»، الأسرة والمدينة والتحولات الاجتماعية بين التنمية والتحديث،مجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، إصدار المكتب التنفيذي، المنامة البحرين.1998 . ص 22 . 23 .

(48) Jessica Kuper. The social science encyclopedia . London: Routledge and Kegan Paul, 1960. P.26.

(49) Mokhtar , El Harras . « Evaluation critique de quelques études récentes sur la famille rurale au Maroc » , Portraits de Femmes, Ed le Fennec, 1987, P, 125.

(50) أحمد ، بوشرب . مغاربة في البرتغال خلال القرن السادس عشر ، دراسة في الثقافة والذهنيات بالمغرب ، من حلال محاكم التفتيش الدينية البرتغالية . منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط ، سلسلة رسائل وأطروحات ، رقم 36 سنة 1996 ، ص،47.

(51) المختار ، الهراس . القبيلة والسلطة ، تطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني ، مطبعة الرسالة ، الرباط، ص، 236.

المحافظة على صيرورتها و استمراريتها[52]. الشيء الذي جعل منها خزانا للثقافة المغربية.

لقد ظلت الأسرة القروية تعيد إنتاج القيم والمعايير والوسائل التربوية، وكذا العلاقات الاجتماعية التي بدأت تزول من المجتمع .كما أنها تعيد إنتاج وضعية الجماعة التي تنتمي لها، وتعيد كذلك، إنتاج المجال الجغرافي، الذي تقطنه[53]. ظلت الأسرة في خضم هذه التحولات محافظة على المشترك الجمعي، الذي ساعدها في كثير من الأحيان على إعادة تكوين مجالس القبيلة أو الجماعة .ساعدها كذلك؛ على إعادة تشكيل التنظيمات القبلية[54].

لقد كان للتداخل القائم بين العلاقات المنزلية وعلاقات الإنتاج، وكذلك الوظائف الحيوية التي تؤديها الأسرة في المجتمع، دور كبير في قوة وصلابة هذه المواجهة، ومن هنا ظلت الأسرة القروية تشكل ذاكرة المجتمع، إذ تختزن هويته وقيمه وتحافظ على بقاء واستمرار هذه القيم وتلك الهوية[55]. مما جعل منها أداة أساسية لتكوين المجتمع وللحفاظ على استمراريته.

إلى جانب ذلك، ظلت المؤسسة العائلية في المجتمع القروي وحدة منفتحة وذلك باندماجها في المجموعة الاجتماعية، حيث تشكل الأصل المنظم أو النموذج المرجعي . وهكذا، فإن المجتمع القروي شكل المجال الجغرافي والإثني، الذي احتضن الأسرة، وداخل هذا المجال مارست الأسرة القروية نشاطها البيولوجي والاقتصادي والثقافي .كما أنه كان يحتضن الصراعات الأسرية، سواء تلك، التي تدور فيما بين أعضائها، أو تلك التي تدور بينهم وبين باقي أعضاء الجماعة القرابية، أو بين باقي معظم الوحدات الاجتماعية، التي تشكل المجتمع .

في مقابل ذلك؛ عملت الأسرة القروية على إغناء الطقوس، والرموز الاجتماعية، على الرغم من بدائية الوسائل والأدوات [56]، التي كانت سائدة.

(52) Mokhtar , El Harras . « Évaluation critique de quelques études récentes sur la famille rurale au Maroc» , Op. Cit., P, 125.

(53) Fatima , Mernissi . Les Ait Débrouilles , ONG –Rurales du Haut Atlas , Ed . Marsam, Rabat, 2003, P ,38.

(54) Albert , Ayache . Le Maroc , Bilan d'une colonisation . Ed, Sociales, 1956, P, 45.

(55) محمد مصطفى ، القباج . الطفل المغربي وأساليب التنشئة الاجتماعية بين الحداثة والتقليد، دفاتر في التربية ، سلسلة الطفولة ، منشورات رمسيس ،1997، ص.25 .

(56) 56Mokhtar , El Harras . « Évaluation critique de quelques études récentes sur la famille rurale au Maroc» , Op. Cit., P,125.

2.3. الأسرة القروية ودينامية التاريخ

إن الباحث عن صورة الأسرة القروية، من خلال الأدبيات التاريخية، والإثنولوجية لمرحلة الاستعمار، سوف يصطدم بصورة تجسد ملامح البداوة، والتي اعتبرت متكررة وقارة. إن الأمر بالنسبة لهذه الدراسات، يتعلق بمجتمع تقليدي يقدم في غالب الأحيان، كنقيض لمجتمع التحول، وفي أحيان أخرى ، يقدم كشاهد على الأسرة القروية(57). كما أن جزءا من هذه الدراسات قدمت الإنسان المغربي عموما في صورة المتوحش والبدائي***، فيما ذهب جزء من هذه الدراسات إلى تقديم معطيات حول الأسرة المغربية اليهودية أكثر من الأسرة المغربية المسلمة (58).

تذهب بعض الدراسات إلى كون التاريخ المغربي قبل القرن العشرين، لم يهتم بتاريخ الأسرة ، اللهم ما يمكن أن يستشفه الباحث من بعض النصوص المتناثرة، التي وردت بشكل عرضي وغير مقصود .تبقى هذه النصوص في نظرهم، تشكل مادة مهمة للمؤرخ أو الباحث، الذي يسعى إلى بناء تاريخ الأسرة بالمغرب(59). أعتقد أنه من الصعب على المؤرخ المغربي، أن ينفي مجهود الباحثين المغاربة، الذين حاولوا قراءة الأوضاع الاجتماعية للمغرب من خلال النوازل الفقهية والفتاوى .فمؤسسة الفقيه، خاصة بسوس، شكلت ذاكرة لتاريخ المغرب، ومعظم القضايا الأسرية كانت تجد حلا لها عند الفقيه .أضف إلى ذلك؛ أن الأسرة كانت منصهرة في القبيلة، فالحديث عن القبيلة، كان يعني الحديث عن العائلات أو عن المدد أو إخص. بمعنى لا يمكن إنكار حضور الأسرة في الدينامية التاريخية للمغرب. لكن ما يمكن، الإشارة إليه هو تغير طبيعة التعاطي مع هذه المؤسسة.

إن الصورة، التي تغيب الأسرة المغربية من الحضور في التاريخ المغربي، لم يعد لها أي مبرر في دراسة التحول الاجتماعي بالمجتمع، حيث سارعت الدراسات التاريخية العلمية، التي بدأت تهتم بالتحولات، التي عاشتها الأسرة القروية عبر التاريخ، خاصة منذ بداية

---

(57) Ibid, P, 126.

***يمكن الرجوع إلى أطروحة الأستاذ محمد ، الدهان . حول : العلم والأيديولوجيا في الأنثروبولوجيا الاستعمارية، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا ، جامعة محمد الخامس ، الرباط 93/1992، حيث حاول الأستاذ في عرض متسلسل ومتناسق تقديم أعمال الدراسات الكولونيالية وكيف اتخذت من البداوة والبدائية مدخلا أساسية لتبرير الأيديولوجية الاستعمارية .

(58) أنظر في هذا الاتجاه أعمال كل من Charles Vicointe , de Foucauld.Reconnaissance au Maroc , librairie coloniale, Paris 1888

(59) محمد ، حنداين . » مدخل لتاريخ الأسرة في البادية المغربية «الأسرة البدوية في تاريخ المغرب ، منشورات مجموعة البحث في تاريخ البوادي المغربية ، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 2 ، جامعة ابن طفيل ، الطبعة الأولى 2006 ، ص8 .

القرن الخامس عشر الميلادي، إذ اعترضت الأسرة القروية الكثير من الأزمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية. كما أنها تأثرت بإخفاقات السلطة المركزية في بسط الهيمنة وتدعيم نسق السيطرة وتركيزه داخل القبائل، الأمر الذي أدى إلى تدهور أوضاع الأسرة القروية، وذلك عن طريق انتشار قيم الخوف، ومظاهر السيبة والتمرد والعصيان القبلي، وعدم الأمن والتفاوت الطبقي ، وتكريس نظام الحماية من طرف الأسياد والصلحاء والشرفاء(60). هذا الوضع؛ ساهم في خلق العديد من التراتبيات الاجتماعية بين الأسر في الأوساط القروية، كأن يتم الحديث عن أسر الشرفاء وأسر الحراطين.

تأثرت الأسرة القروية بعواقب المجاعات والأوبئة، حيث كثرت الهجرات الجماعية والفردية(61)، مما أحدث فراغا ديموغرافيا في الأسر .لقد استحضرت أطروحة أحمد التوفيق مسألة التدافع والصراع بين القبائل حول المجال، والصراع بين السلطة والقبائل؛ كعوامل أساسية في التحول الأسري بالوسط القروي، معتبرا أن البنيات الاجتماعية قد تأثرت من جراء هذه الصراعات، فالباحث حاول تحليل تطور الأسرة القروية، من خلال تتبع ديناميات القبائل، بمعنى أن الأسرة القروية لم تكن نسقا مغلقا، بقدر ما شكلت إطارا مفتوحا يتطور باستمرار ***. لقد تأثرت الأسرة القروية بدورة الحياة الاقتصادية، التي تتحدد في الغالب بتعاقب فترات الجفاف والمسغبة .مما يزكي حسب أطروحة محمد لمين البزاز ****فرضية أن الأسرة النووية والأحادية الأبوين أو الأسرة، التي ترأسها امرأة، قد تواجدت في المغرب عبر التاريخ، ذلك أن كثيرا من الآباء كانوا يهربون ليلا خوفا من الجوع ويتركون الزوجة والأبناء.

إن الدورات الاقتصادية، التي عاشتها البوادي المغربية، كان لها تأثير كبير على ديموغرافية الأسرة وعلى علاقتها بالمجال الجغرافي وكذلك، على علاقتها بالتراتبيات الاجتماعية، عن طريق صعود عائلات في مراتب السلم الاجتماعي، على حساب عائلات أخرى أفقرها الجفاف(62). لقد تمكن الأستاذ أحمد التوفيق، من صياغة مقاربة شبه من

(60) محمد ، الأمين البزاز . تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، مرجع سبق ذكره، ص، 184.

(61) أحمد، التوفيق .المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر(إينولتان 1850-1912) ، مرجع سبق ذكره ، ص، 98 .

*** من خلال العودة إلى التاريخ يصبح الطرح القائل بأن التاريخ المغربي لم يهتم بالأسرة مردود عليه وعلى أصحابه إعادة النظر في أطروحاتهم.

**** يرجى العودة إلى أطروحة محمد لمين البزاز ، مرجع سبق ذكره.

(62) Mokhtar , El Harras . « Évaluation critique de quelques études récentes sur la famille rurale au Maroc»,Op. Cit., P, 126.

خلالها دورة حياة الأسرة القروية بحركية الدورة المناخية. كما أنه ربط بين الفعل الاجتماعي والفعل الطبيعي .

سبقت الإشارة إلى كون البوادي المغربية ومعها الأسرة القروية، قد تعرضتا للمجاعات والأوبئة، مما ألحق بها ضمورا ديموغرافيا .غير أنه لا يمكن إغفال التأثيرات، التي ألحقها الغزو الاستعماري، إذ صارت بعض البوادي شبه خالية من السكان، وذلك بسبب الغارات المتتالية للغزاة، التي كانت تهدف بالأساس، إلى الحصول على الأسرى[63]. وإذا كان عدد هؤلاء الأسرى مهما في بداية التوسع، حيث كانوا يشحنون بالمئات، فإن الحصول عليهم كان يتطلب على الأقل نفس العدد من القتلى[64]. لقد افتقدت الأسرة القروية الكثير من أفرادها، وذلك بأسرهم من طرف البرتغاليين . مما أدى إلى تسرب الفزع في وسط الأسر وهروبها في كل اتجاه .هذا الوضع كان يسمح للغزو الاستعماري بالاستيلاء على النساء والأطفال ثم بيعهم لتجار النخاسة[65]. مما ساهم في تفكك الأسرة القروية بالمغرب.

3.3. الأسرة القروية والدينامية الاقتصادية

تذهب الدراسات السوسيولوجية، التي اهتمت بالمجتمع القروي بالمغرب، إلى اعتبار الأسرة وحدة أساسية في الإنتاج، بحيث يتم النشاط الإنتاجي داخلها[66]، كما أنه ينبني على تقسيم دقيق للعمل بين أفرادها، ويتم هذا التقسيم حسب السن والجنس وكذلك، حسب التجربة والتكوين[67]. كما يراعى في هذا التقسيم، مكانة الفرد داخل الأسرة . إن توزيع الأدوار الاقتصادية ينطلق من قاعدة نفسية اجتماعية تراعي في ذلك الأهلية[68].

ذهبت معظم الكتابات، التي اهتمت بالأسرة القروية، إلى اعتبار اقتصادها يقوم على الأرض والقطيع وعلى بعض الصناعات المنزلية الصغيرة [69]. لذا ؛ اهتمت هذه الكتابات بالوضعية العقارية للأرض، حيث كانت في الغالب تابعة للجماعة أو للقبيلة .كما أنها كانت تستثمر أو تملك من طرف جماعات صغيرة من الفلاحين على أساس أسري[70].

---

(63) أحمد ، بوشرب . دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور . قبل 28 غشت 1481 . أكتوبر 1541 م . دار الثقافة ، الطبعة الأولى ، 1984 ، ص، 462 .

(64) أحمد ، بوشرب . دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور، مرجع سبق ذكره ، ص، 462.

(65) نفس المرجع السابق ذكره ، ص، 464.

(66) Aicha, Belarbi . «Femmes rurales et technologie», Femmes rurales, Collection dirigée par Aicha Belarbi Editions le fennec , 1996, P , 34.

(67) Abderrahman, Tantaoui . Op, Cit ., P, 30.

(68) Aicha, Belarbi . «Femmes rurales et technologie» , Op. Cit., P, 34.

(69) Centre de Recherche et d' Etudes sur Les sociétés Méditerranéennes , Op .Cit ., P. 37

(70) Jacques , Berque . Op. Cit, P, 20.

فيما ذهبت بعض الأطروحات، إلى الاهتمام بمجالات الإنتاج الاقتصادي للأسرة القروية، معتبرة أنه إلى جانب الأرض، التي تعتبر أساسا للحياة الاقتصادية توجد بعض الأنشطة الأخرى، كتربية الماشية، أو بعض الصناعات التقليدية. كما أن امتلاك الماشية يعتبر بمثابة "رأسمال مخزون" [71]. إذ يتم توظيفه والعودة إليه عند الحاجة .

إن رعي الماشية حسب الدراسات، التي اهتمت بالمجتمع القروي المغربي، لم يكن نشاطا ثانويا فحسب أو مكملا للنشاط الزراعي، بل كان نشاطا رئيسيا موازيا للنشاط الزراعي .لقد كان امتلاك بقرة أو بعض رؤوس الأغنام، أهم نشاط وأيسر مورد بالنسبة للعدد الكبير من الأسر، التي لم تكن تملك الأرض[72]. فالقطيع، بالنسبة للأسرة القروية، لم يكن يؤدي وظيفة اقتصادية فحسب، بل يؤدي كذلك، وظيفة ادخارية واجتماعية . فتربية الأغنام أو الماعز أو حتى الأبقار، هي مصدر اكتناز وادخار، يقف في وجه التقلبات العارضة " للدهر ."ذلك أن القطيع يعتبر كنزا يدخر، ولا تحدد قيمته بالدور الذي قد يلعبه في عملية الإنتاج، وإنما هو عبارة عن مقابل نقدي يستعمل عند الحاجة[73]، أي أن له قيمة استعمالية .

أما الفلاحة فقد أعتبرت نشاطا عائليا، وليست مهنة قائمة بذاتها مستقلة ومفصولة عن الحياة اليومية، بل هي نمط من العيش وموقف من المجتمع والقيم [74]. إن أهم ما كان يميز الحياة الاقتصادية داخل الأسرة القروية، كونها كانت تقوم على التعاون بين أفراد الشبكة القرابية. لكن في ظل التحولات الاجتماعية والاقتصادية، التي أضحت تعرفها الأوساط القروية، وخاصة تجزؤ الأراضي الزراعية والضغط الديموغرافي والهجرة ، عوامل كان لها انعكاس على علاقات التضامن ، التي كانت قائمة إلى عهد قريب بين أعضاء الأسرة، حيث تصاعدت حدة الصراع بين الأجيال، خاصة بين جيل الآباء والأبناء. وفي تقديرنا؛ فإن هذا الصراع أضحى واقعا عكسته العديد من الدراسات والأبحاث ***. كما أنه يتخذ ـ هذا الصراع ـ مناحي عديدة ، منها ما هو خفي ومنها ما هو ظاهري . أيضا؛ له انعكاسات كبيرة على معظم الفاعلين في الوسط القروي، سواء تعلق الأمر بالشباب أو الكهول أو الشيوخ، وفيما بين الجنسين داخل الأسرة. هذا الصراع يعكس صراعا على

(71) المختار، الهراس . امرأة موزعة ، العائلة والعمل ، مرجع سبق ذكره ، ص،19.

(72) أحمد التوفيق . مرجع ذكر سابقا ، ص223.

(73) رحمة بورقية . الدولة والسلطة والمجتمع مرجع سبق ذكره ، ص،174 .

(74) المختار الهراس .امرأة موزعة ، العائلة والعمل مرجع سبق ذكره ، ص ،20.

***محمد دحمان . الترحال والاستقرار بمنطقتي وادي الذهب والساقية الحمراء مطبعة كوثر ـ الرباط 2006 ص262.

مستوى المرجعيات داخل الأسرة القروية، مرجعيات الكبار تنهل من الماضي ومن قيم الأسلاف بينما تنهل مرجعيات الشباب من تصورات الفضائيات وشبكات الاتصال .مما ينعكس على سلوكياتهم؛ بحيث تتميز بالتردد بين الموروث القديم والقيم الجديدة والدخيلة. هذا التردد في تقديرنا يؤثر بدوره على مستويات التنمية .كما أنه يشكل عائقا أمام فهم الأسرة ويجعل علم الاجتماع أمام تحديات جديدة.

شكلت عقدة "الشركة" أهم رابط اقتصادي بين أفراد القرابة، إذ تجتمع الوحدات العائلية فيما بينها، فتعطي لبعض الأسر الفقيرة رؤوسا من الأغنام أو الأبقار قصد الإعانة والمساعدة. لقد لعبت هذه العقدة التقليدية دورا كبيرا في الحد، على الأقل ظاهريا ، من التمايزات الاجتماعية والاقتصادية[75] ، التي كانت سائدة بين الأسر القروية.

فهذا التعاون والتضامن فيما بين العائلات القروية، كان يعطي للفرد إحساسا بالانتماء، إلى النسق القرابي ككل [76]، الشيء الذي كان يجعل من النسيج الاجتماعي، أداة اجتماعية واقتصادية يحتمي بها الفرد أثناء الشدة .

فالأسرة القروية كانت بمثابة "**بنك** " يمول الاحتفالات وتكاليف الزواج والحج والملبس وكل المصاريف البسيطة للمؤونة [77]. مما جعل نظام الإنتاج القروي يقوم على مساهمة كل أعضاء الأسرة. لقد كان هذا الإنتاج يوجه أساسا إلى تلبية الاحتياجات الأساسية لها[78]. من هذا المنطلق اعتبرت بعض الأبحاث الأسرة القروية وحدة للإنتاج والاستهلاك، حيث تستهلك ما تنتجه مكتفية بذاتها اقتصاديا، مما جعل منها وحدة اقتصادية واجتماعية، توفر الحماية الكلية لأفرادها . هذا الشكل من التجمع يصطلح عليه في دكالة[79] " **الخلة** " أو " **مْلاَيْمين**".

إن هذا الوضع ؛ قد يستمر حتى بعد وفاة الأب، بحيث يقرر الورثة الاستمرار في هذه الشركة، دون اللجوء لتقسيم الإرث[80]. لقد لعب الأب دورا أساسيا وهاما في ترسيخ

---

(75) رحمة بورقية ،مرجع سبق ذكره ، ص ،174 .

(76) نفس المرجع السابق ذكره، ص،174.

*** Robert , Montagne . La vie sociale et la vie politique des Berbères , Ed , Du Comité de l'Afrique Fransaise, Paris 1931, P116.

(77) Centre Recherche et d' Etudes sur les Sociétés Méditerranéennes, Op Cit . P, 11.

(78) Hopkins, Nicholas . Testeur ou la transformation des campagnes Maghrébines , Horizon Maghrébin , Tunis, 1983, P..26.

(79) فاطمة المسدالي. »الأسرة القروية المغربية بين الماضي والحاضر : الأسرة الدكالية نموذجا« الأسرة البدوية في تاريخ المغرب ، مرجع سبق ذكره ، ص.149.

(80) نفس المرجع السابق ذكره، ص 149.

مؤسسة " الخلة " في أذهان أفراد الأسرة[81]. كما شكلت وحدة لإنتاج الخيرات المادية، وتسخيرها في ترميم وإصلاح النسيج الاجتماعي وتقوية العلاقات القرابية[82]. الشيء الذي نما حسا تضامنيا اقتصاديا بين أعضائها. لكن في إطار التحولات السوسيو ـ إقتصادية[83] ، التي يعرفها المغرب، وتحول الأسرة من وحدة إنتاج إلى وحدة استهلاك، بدأت الأسرة القروية تعرف تفككا اجتماعيا بدأ يزول معه هذا التضامن .

لقد تم الربط بين الاقتصاد والسلطة العليا داخل الأسرة، إذ كان الأب أو الجد هو، الذي يمسك بخيوط هذه السلطة. فالفرد يقبل بهذه السلطة لأن الأسرة هي الإطار الوحيد، الذي يوفر له الإشباع الاقتصادي والاجتماعي والجنسي، فهي الضامن الأساسي لحاجياته من تغذية وملبس. مما كان يوفر له الدفء اقتصاديا واجتماعيا .

لقد اتضح لي من خلال هذه الدراسات؛ على أن العملية الاقتصادية بالوسط القروي، كانت تتم في نسق من القيم الثقافية والاجتماعية، إذ أن الأرض تشكل أساس الحياة الاقتصادية، لهذا؛ رفعت إلى مستوى القداسة، نظرا للدور الاجتماعي، الذي كانت تلعبه، حيث كانت تساهم في تلاحم وتضامن الوحدات العائلية ومن ورائها وحدة الجماعة[84]، ومن هذا المنطلق اعتبرت بعض هذه الدراسات أن وحدة الملكية، شكلت أساسا ماديا لإيديولوجية الوحدة والتلاحم.لذلك، فإنها قد أحيطت بكل القيود العرفية، لكي لا تخرج عن العائلة وعن القبيلة بشكل عام[85].

4.3. الأسرة القروية والعمل

كان العمل يتم في نطاق الأسرة القروية، حيث كان معظم أعضائها يمتهنون مهنا وحرفا وراثية، تجعلهم يخضعون لتراتبيات حسب السن والجنس. أما الإنتاج فقد اعتبر ملكا للجماعة الأسرية، فيما ترى بعض الدراسات أن كل أعضاء الأسرة القروية يعتبرون مسؤولين عن تقديم خدمات تهم المجال الزراعي والرعوي، وكذلك بعض الصناعات التقليدية المنزلية .يلاحظ كذلك، أن هذه الدراسات، لم تغفل مشاركة المرأة في الإنتاج، حيث كانت تعمل بصحبة أطفالها إلى جانب الرجال[86] .

---

(81) نفس المرجع السابق ذكره، ص149 .

(83) إتضح لنا هذا ؛ حسب الدراسة التي أجريناها في بني عمير الشرقيين حول الأسرة القروية والتحولات السوسيو ـ إقتصادية / أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع ، جامعة محمد الخامي الرباط ،2005 .

(84) رحمة، بورقية .لدولة والسلطة والمجتمع، مرجع سبق ذكره، ص،171 .

(85) نفس المرجع السابق ذكره، ص،171.

(86) Hopkins, Nicholas , Op. Cit ., P, 27.

لقد ظل الإنتاج المادي في الأسرة القروية، يتم حسب تقسيم دقيق للعمل، بحيث يتكلف الزوج بالفلاحة وتدبير الرعي، فيما تتكلف الزوجة بالعمل المنزلي، مع القيام ببعض الأعمال الفلاحية الخاصة ، مثلما ، تقتضيه بعض الخصوصيات المحلية والأعراف [87]. أما الأبناء؛ فإنهم يقومون بأعمال تحت مراقبة الآباء، في حالة الذكور، وتحت تربية الأمهات إذا كانوا إناثا ؛ كالرعي وحراسة الماشية والسقي وجمع الحطب، وغير ذلك مما يتكلف به الصغار في الوسط القروي[88]. وعلى الرغم من كون العمل داخل الأسرة القروية، كان يخضع لقاعدة تقليدية تحتم تقسيم العمل بين الجنسين، فإن المرأة كانت تقوم بأدوار إنتاجية متعددة ومتنوعة[89]، بحيث كانت تقوم بالأشغال المنزلية ، سواء تعلق الأمر بإعداد الطعام ، أو الصيانة ، أو التكفل بالأطفال[90]. لقد كانت النساء المنتميات إلى الطبقات الفقيرة ، تلعبن أدوارا مركزية في الاقتصاد المعيشي للأسرة القروية[91]. لم تكن النساء في هذه الطبقات تقمن بالأعمال الموكولة لهن ، وما يقمن به من أشغال منزلية كلاسيكية ، إلى جانب تأديتهن لمجموعة من الأدوار والمهام الاقتصادية الضرورية لتوازن عملية الإنتاج فحسب ، بل كن أيضا ، ينتجن قوة العمل عن طريق الإنجاب والسهر على تربية الأطفال [92]. أما الطفل فقد كان يبعث إلى المراعي البعيدة ليرعى القطيع ولا يعود إلا مساء [93]. كما توكل إليه أعمال تخص الزراعة والحرث وكل ما يتعلق بالعمليات الزراعية [94]. من هذا المنطلق كانت الأسرة القروية تشجع الزواج المبكر ، وتشجع على الإسراع في إنجاب الأطفال[95]، لكي يساعدونها على تحمل مشاكل البعد والعزلة عن المناطق الحضرية وانعدام المواصلات.

أما دور الرجال، فإنه يبقى في كثير من الأحيان يقتصر على الأشغال الفلاحية وعلى التوجيه[96]، اللهم بعض العمليات الكبرى، كالحرث والسقي أو الدراس، التي يتم إشراك

---

(87) رحمة ، بورقية . مواقف ، مرجع سبق ذكره ، ص،47.

(88) نفس المرجع السابق ذكره ، ص،47 .

(89) Malika , Belghiti . « les relations feminines et le statut de la femme dans la famille rurale , dans trois villages de la tessaout », Etudes sociologiques, Op. Cit ., P. 302.

(90) Malika , Belghiti, Op. Cit ; P, 302.

(91) فاطمة ، المرنيسي . نساء الغرب ، مرجع سبق ذكره ، ص، 66 .

(92) نفس المرجع السابق ذكره ، ص،66 .

(93) Julien , Couleau . La paysannerie Marocaine, Centre de Recherche Sur l'Afrique , Ed . Anatole, France, Paris VII 1968 P, 114 .

(94) المختار،الهراس وإدريس،بنسعيد. الثقافة والخصوبة، دراسة في السلوك الإنجابي بالمغرب .دار الطليعة للطباعة والنشر .بيروت ، لبنان 1996، ص. 65.

(95) Jaques, Berque, Op . Cit , P . 36 .

(96) Malika , Belghiti . « les relations feminines et le statut de la femme dans la famille rurale , dans trois villages de la tessaout », Etudes sociologiques, Op. Cit ., P. 302.

كل أفراد الأسرة فيها، بحيث يكون للطفل أو المرأة حضور قوي في هذه العمليات .ومن ثمة كانت الأسرة القروية تمثل وحدة عمل وإنتاج بمساهمة كل أعضائها [97]. غير أن انتشار التمدرس والتمدن وتفكك البنية الاقتصادية للأسرة ، جعل مسألة إعادة إنتاج الطفل مشروع رجل، مهمة صعبة عليها. ذلك ؛ أن التصورات المستوحاة من التراث ومن المرجعيات التقليدية الخاصة بالتربية وتعليم الحرف للطفل ، أضحت تجد صعوبة في طريقها إلى التطبيق.

5.3. الأسرة القروية واستراتيجية الإنجاب

إن طبيعة العمل في الزراعة، جعلت من الأسرة القروية مؤسسة اجتماعية ممتدة، مشكلة بذلك تأمينا اقتصاديا واجتماعيا .كما أنها شكلت مؤسسة ديموغرافية، تشجع الزواج المبكر وإنجاب الكثير من الأطفال .فالأبناء المتزوجون يلتصقون بالأسرة ويعيشون مع آبائهم . يدخل الفعل الزواجي في منطق حسابي يرتبط لدى الأسرة القروية بعملية الإنتاج ، إذ تعتبر العدد المرتفع من الأعضاء مصدرا من مصادر القوة وإثبات المكانة الاقتصادية والاجتماعية[98]. أما المرأة القروية ، فإنها لا تعتبر الانجاب عملية بيولوجية فقط ، بقدر ما تعتبرها عاملا أساسيا يزيد من قوتها ومركزيتها داخل الأسرة[99]. أما في حالة وجود أسرة بدون أطفال، فإن المرأة تعتبر هي المسؤولة عن هذا الوضع .كما أن هذا يحد من نفوذها داخل الأسرة . فالإنجاب إذن ، لا يعتبر عملية لإنجاب الأطفال لكي يؤمنوا مستقبلها أثناء الشيخوخة فقط ، ولكن يعتبر عاملا أساسيا في استقرار الزواج[100] . إن الضرورة الاجتماعية والاقتصادية للأسرة القروية ، جعلت الإنجاب خاصية أساسية لها وإحدى أهم الوظائف التي ينبغي أن تقوم بها .

لقد شكل انخفاض كلفة الطفل في نطاق الأسرة القروية بفعل اقتسام المسؤوليات ، حافزا إضافيا على الإنجاب دون مراعاة لأي تخطيط [101]. أما الإنجاب فقد كان يتم وفق استراتيجيات اقتصادية واجتماعية، تهدف أساسا إلى توفير اليد العاملة الكافية للأرض من داخل الوحدة الأسرية . كما يهدف لتحقيق الاكتفاء الذاتي، والأمن الاجتماعي، وتأمين

(97) Jaques, Berque, Op . Cit , P . 37.

(98) المختار الهراس وادريس بنسعيد ، الثقافة و الخصوبة ، مرجع سبق ذكره ، ص. 65.

(99) Malika , Belghiti . « les relations feminines et le statut de la femme dans la famille rurale , dans trois villages de la tessaout », Etudes sociologiques, Op. Cit ., P. 314.

(100) Ibid ., P. 314.

(101) المختار الهراس وادريس بنسعيد ، الثقافة و الخصوبة ، مرجع سبق ذكره ، ص. 65.

حياة الوالدين أثناء الكبر [102]. هذه الإستراتيجية شكلت عنصرا أساسيا ظل يتحكم في صيرورة المؤسسة الأسرية بالوسط القروي.

لقد كانت للأسرة القروية استراتيجيات متعددة تتوخاها من الجماعة البشرية المنتسبة إليها ، لهذا، فإنها كانت تقوم بوظيفة التنشئة الاجتماعية، التي تخضع لمجموعة من الضوابط القيمية . إن الأسرة القروية مارست هذه الوظيفة، من خلال أداة اجتماعية أساسية، والمتمثلة أساسا في السلطة، التي كان يمسك خيوطها كبير السن من الذكور داخل الجماعة الأسرية.

3 . 6. الأسرة القروية واستراتيجيات الزواج

شكلت وحدة الملكية محور العلاقات الاجتماعية، التي تتسج بين الأسرة القروية وباقي المجموعات الاجتماعية الأخرى، الشيء الذي نسج حولها منذ أمد بعيد قيما ثقافية عدة تربط بين الإنسان والأرض، تربط بين اقتصاد الأسرة والرموز الدينية والأخلاقية[103]. لقد صارت الأرض وحدة يتداخل فيها الاجتماعي بالاقتصادي و بالديني وبالثقافي .مما جعلها أداة لإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية والعائلية .هذه المكانة، التي حظيت بها الأرض، جعلت الأسرة القروية تؤسس مجموعة من الاستراتيجيات للمحافظة عليها، حتى تحافظ على الاستقرار النسبي، الذي ميزها عبر عصور طويلة[104]. من هذا المنطلق ظلت استراتيجيات الزواج تمر من خلال وحدة الملكية ، بهدف الحفاظ عليها من التفتت، ولأن ذلك يؤدي حتما إلى تفكك الروابط العائلية[105]، الشيء الذي جعل الزواج يتم في نسق منغلق، تسعى من خلاله الأسرة القروية إلى الحفاظ على وحدة الملكية . هكذا، إذن كونت وحدة الملكية أساسا ماديا لإيديولوجية الوحدة والتلاحم . كما أحيطت ـ الملكية ـ بكل القيود العرفية لكي لا تخرج عن العائلة وعن القبيلة بشكل عام[106]، مما جعل الزواج داخل الأسرة القروية يرتبط بالأرض. وبما أن وحدة الملكية ، تحمي الأسرة من الجوع ، وتعطيها المكانة الاجتماعية والاقتصادية ، التي تليق بها ، فإن الإنسان القروي كان دائما يسعى إلى تسييجها بمجموعة من الأعراف والتقاليد للحفاظ علي وحدتها والحرص على

(102) نفس المرجع السابق، ص. 65.

(103) الهراس المختار. العمل والعائلة ، مرجع سبق ذكره ، ص18.

(104) Mokhtar , El Harras . « Evaluation critique de quelques études récentes sur la famille rurale au Maroc»,Op. Cit., P, 127.

(105) Ibid, P, 127.

(106) رحمة ، بورقية. الدولة والسلطة والمجتمع ، مرجع سبق ذكره ، ص،. 171.

عدم تفتتها [107]. ظلت الأسرة القروية هي الأخرى تحرص من جانبها على أن ينتقل الميراث في اتجاه ذكوري[108]، لهذا لجأت إلى إيديولوجية العرف لإقصاء المرأة من الميراث[109] ، بحيث كانت ممنوعة من الحصول على الأرض ، على الرغم من أن قوانين ومبادئ الإسلام تمنحها هذا الحق[110]. ومن ثمة شكل العرف استراتيجية أساسية للحفاظ على الوحدة العائلية [111]. كما أنها فرضت على النساء أن ينتقلن في دوائر القرابة [112]. أما في سوس ؛ فإن العرف أعطى للمرأة القروية وضعا مماثلا لوضع الرجل داخل الأسرة السوسية، حيث أن عرف " **تمازالت** " ***يقر للمرأة بحق كدها وسعيها في إنشاء وتنمية اقتصاد الأسرة، ويجعل المرأة عند الطلاق أو عند وفاة الزوج في مستوى الرجل في ما يتعلق بتقسيم الممتلكات المكتسبة خلال فترة الزواج .

إن النمو الديموغرافي، الذي بدأت تعرفه الأسرة القروية ، سيجعل النزاعات والخلافات العائلية حول الملكية أمرا محتوما، مما سيؤدي إلى تفكك وحدة الملكية ومن ثم تفكك الوحدة العائلية[113]. لهذا حرصت الأسرة القروية على أن يظل الزواج وتبادل النساء يتم في نطاق دوائر القرابة ، مما جعل من المرأة أداة لتبادل ونقل الخيرات العائلية[114]. تذهب دراسات أخرى إلى رصد التحول الذي عرفته الأسرة على هذا المستوى، خاصة الأسرة البدوية بالأقاليم الجنوبية ، بحيث يرى الأستاذ محمد دحمان***، أن العلاقات الزوجية لم تعد تتم في إطار القرابة ولم تعد مبنية على ضرورة القرابة بين الزوجين وتقارب المكانات الاجتماعية لهما ، إذ تراجع الزواج من بنت العم [115]. كما

---

(107) Paul , Pascon. La maison d'illigh et l'histoire sociale du Tazerwalt « la propriété des terres et des eaux de la maison d'illigh », Siller 3 Rue , Ghaza , Rabat, 1984, P, 10.

(108) Ibid P. 23

(109) Paul , Pascon. La maison d'illigh et l'histoire sociale du Tazerwalt , Op . Cit ; P 37

(110) فاطمة ، المرنيسي . نساء الغرب ، مرجع سبق ذكره ، ص ، 66.

(111) رحمة ، بورقية . السلطة الدولة والمجتمع ، مرجع سبق ذكره ، ص. 80 .

(112) فاطمة ، المرنيسي . نساء الغرب ، مرجع سبق ذكره ، ص ،. 66 .

*** تامازالت كلمة أمازيغية مشتقة من فعل أزل Azzel والذي يعني سعى أو جرى ومنه جاء كد وسعي المرأة بالوسط القروي السوسي في تنمية إقتصاد الأسرة خلال فترة الزواج .أنظر في هذا الصدد الحسين بن عبد السلام ، الملكي . نظام الكد والسعاية، مكتبة دار السلام ، الرباط، 2002 ، ص.18 .

(113) Raymond , Jamous . Honneur et baraka , Ed, de la Maison des sciences de l'homme .Paris , 1981, P, 250.

(114) Mohamed, Al Hayane. «Stratégies matrimoniales et mariage à Lakhsas (Anti –Atlas Occidental)», BESM, N° 158, Rabat, 1986, P,72.

*** محمد ، دحمان . الترحال والاستقرار بمنطقتي وادي الذهب والساقية الحمراء ، مرجع سبق ذكره، ص .261.

(115) نفس المرجع السابق ذكره، ص.261.

تراجع الزواج بالفتاة المنتمية إلى نفس قبيلة الزوج ، ويضيف الأستاذ في هذا الإطار ، بأنه قد حصل تغير ناتج عن تفكك ملكية القبيلة الأصلية، التي كانت متمثلة في القطيع واستراتيجية الحفاظ على الثروة داخل خط النسب وصارت الثروة اليوم؛ عبارة عن وظيفة مع الدولة أو في القطاع الخاص. كما أضحى الزواج هو ضمان الاستقرار للزوجة مع زوجها[116]. إن هذا التحول بدأت يجتاح العديد من الأوساط القروية، نظرا لتفكك العائلات الممتدة وبروز الفرادنية كتوجه اقتصادي.

وعلى الرغم من الاختلافات الاثنية والجغرافية للمجتمع المغربي، فإن الأسرة القروية ظلت أداة أساسية لإنتاج وإعادة إنتاج الوضع البيولوجي والثقافي، ومن هنا كان لا بد من بناء استراتيجيات تحافظ على التماسك العائلي وتجنب الخلافات.

لقد شكل الزواج الآلية الأساسية لضمان تماسك الوحدة العائلية ، وذلك من خلال ضمان وحدة الملكية. إن الزواج هو الفعل الاجتماعي الوحيد الكفيل، بأن يضفي على الفتاة وضعا اجتماعيا متميزا[117]، إذ من خلاله تحقق هويتها، بل هو الذي يحسسها بوجود كيانها الإنساني[118]. مما يجعل الآباء يسارعون بتزويج فتياتهم في سن مبكرة ، وفي هذا الإطار ، أصبح للزواج المبكر قيمة اجتماعية كبرى، إذ أن لعنصر الشباب، ولسن الفتاة مزايا اجتماعية .أيضا، للعذرية قيمتها، التي لا يمكن إغفالها، بحيث تستمد قيمة المهر والهدايا وأهمية الاحتفال بالزواج من زواج الفتاة لأول مرة[119].

7.3. الأسرة القروية وقضايا التربية

لقد ذهبت بعض الدراسات إلى الاهتمام بدور الأسرة في نقل المعارف والخبرات بين الأجيال، مؤكدة الدور التربوي الذي تلعبه بين الأجيال. فالطفل ، على سبيل المثال، يأخذ من والده وكذا من أفراد أسرته خبرات أساسية :كفلح الأرض وعلاج الماشية والمشاركة في تتميم ما تبقى من بعض العمليات الزراعية أو الرعوية. إن تكوين الطفل وتهييئه لخوض معركة الإنتاج ، تقوم به العائلة أو القبيلة نفسها ، حسب حاجياتها ، وحسب ميول الطفل ، إذ تهيىء أحدهم للحرب، فيما تهيء الآخر لجر المحراث أو للتجارة أو قد يبعث

---

(116) نفس المرجع السابق ذكره، ص.261.

(117) Malika , Belghiti . « les relations feminines et le statut de la femme dans la famille rurale , dans trois villages de la tessaout », Etudes sociologiques, Op. Cit ., P. 295.

(118) Ibid., P. 295.

(119) Ibid ., P .312.

للدراسة[120]. إلى جانب هذا، فإن الطفل يخضع لتلقين معارف وخبرات تطبع شخصيته ونفسيته ، وتشكل هذه العملية أدق عملية نفسية اجتماعية يخضع لها الفرد منذ ولادته حتى وفاته، لكي يتسنى له أن يصبح شخصا اجتماعيا . مما يجعله يبلغ النضج العقلي والاقتصادي في سن مبكرة[121]. تتم هذه العملية عن طريق مده بثقافة اجتماعية تخص الجماعة التي ينتمي إليها ، والتي لا ينبغي الخروج عنها وبتلقينه وتعليمه حرفا ومهنا خاصة في إطار النسق الأسري، قائمة على الموروث المهني والحرفي ، حتى يقوم بأدوار اقتصادية لصالح الجماعة الأسرية.

لقد ظلت الجماعة الأسرية تتحكم في المكونات الأساسية للتنشئة الاجتماعية للطفل، خاصة إذا علمنا أن الوسط القروي المغربي؛ لا زال يعتقد في أن الهدف الرئيسي والمركزي للتربية هو نفسه، الذي كان سائدا منذ عهود مديدة :أي إعادة إنتاج نفس النمط من الأفراد الطبيعيين[122]. على الرغم من التحولات، التي تمس اليوم كل مناحي الحياة، فإن الأزمات التي تمر منها اليوم الأوساط القروية [123] والتي مست حتى النواحي الصلبة في الأسرة [124]. وتؤكد هذه الدراسات على أن عملية التنشئة الاجتماعية، كانت تقوم على أساس التفرقة بين الجنسين، مما ساهم في إنتاج تربية تقوم على الحرمان والمكافأة تجاه البنت.

لقد ساهم هذا الحرمان في فرض الصمت على المرأة [125] منذ صغرها، الشيء، الذي كان يزيد من دونيتها وعدم الأخذ برأيها في القرارات، التي كانت تنوي الأسرة صياغتها. أما الطفل، فإنه يعزل عن عالم النساء بظهور علامات الذكورة عليه، ويصبح بالتالي الساهر على شرف العائلة وقيادة النساء بالخارج [126]. رغم ما تشكله إيديولوجية

---

(120) فاطمة ، المرنيسي . «تطور العائلة المغربية المعاصرة» مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية ، بالرباط ، العدد الثالث والرابع . سنة 1978 م ، ص ،167.

(121) فاطمة ، المسدالي .مرجع سبق ذكره، ص.151.

(122)عدنان ، الجزولي . « عناصر من أجل فهم الهوية الاجتماعية والسيكولوجية للشباب المغربي» أعمال ندوة الشباب والمجتمع في البلدان المغاربية ، كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس ، الرباط، من 11 إلى 13 دجنبر1991 ، ص.38.

(123) تمر الأسرة القروية اليوم بمجموعة من التحولات السوسيو - إقتصادية ، فتجزؤ الملكية بفعل النمو الديموغرافي وضيق المجالات الرعوية والزراعية بفعل ضغط السكان وضعف الصبيب المائي ، وعدم ضمان المدرسة لمناصب الشغل ، جعل الأسرة القروية تعيد إنتاج منظومة تربوية تقليدية.

(124) عدنان ، الجزولي ، مرجع سبق ذكره .ص.38.

(125) Zakiya, Daoud . Féminisme et politique au Maghreb. Ed . Edif, 1996 . P. 13.
(126) Centre de Recherches et d''Etudes sur les sociétés méditerranéennes. Op. Cit. P. 10.

الشرف من فرض للرقابة على الفتاة ، فإنه يتم إقحامها في سياق الإنتاج الزراعي والرعوي بحيث ظل عملها ملتصقا بمحيطها البيئي. وترى هذه الدراسات أن جمع الحطب والماء ورعاية الماشية تعد من اختصاص المرأة(127). وهو ما يسمح لنا بالقول أن المرأة القروية كانت منذ فترة تاريخية طويلة تضاعف من ادوارها الإنتاجية لصالح الأسرة .

في مقابل ذلك؛ اهتمت دراسات أخرى بأهمية الأدوار، التي تسند للبنت داخل البيت، بحيث تعمل أمها أو جدتها على تلقينها أدوارا عديدة تهم الأشغال المنزلية والاجتماعية وذلك من أجل إعدادها للزواج منذ صغرها (128). مما جعل التربية تعد الفتاة لأن تكون أداة لإعادة إنتاج الأدوار التقليدية للمرأة.

تخلص معظم هذه الدراسات إلى كون التنشئة تقوم على ثنائيتي (الرجل / المرأة). كما أن الحياة بالنسبة للأسرة القروية، كانت تقوم على أساس عالمين : عالم خاص بالرجال وآخر خاص بالنساء. فيما اختارت أبحاث أخرى، أن تلامس الأسرة القروية من خلال الصور، التي تعطى للطفل والطفلة منذ صغرهما عن العالمين . أقصد هنا عالم الرجال وعالم النساء والتمييز بينهما . تستنتج هذه الدراسات أن الرجل داخل هذه الصورة يكون هو الأكثر تعقلا والأكثر شجاعة وقوة والأكثر عزة(129) ، في حين يلتصق كل ما هو سلبي بالمرأة مما يزيد من دونيتها مع إقصائها من حضورها في الأدوار الفعالة . انطلقت إحدى أهم الدراسات، التي قاربت ثقافة الخصوبة بالمغرب من هذه التصورات الثقافية، التي ترسخت في ذاكرة المجتمع، لتكون سببا رئيسا في فقدان الطفلة براءتها في سياق هذه التنشئة، منذ دخولها مرحلة البلوغ، بحيث يختلط على الأسرة الحلال بالحرام(130). هذه النظرة، شكلت إلى جانب عوامل أخرى سببا أساسيا في الزواج المبكر للتخلص من عبء الفتاة، سواء في ما يتعلق بما هو اقتصادي أو في ما يتعلق بالعرض.

لم تغفل هذه الدراسات مسألة السلطة داخل الأسرة، وكذلك مسألة السلطة في علاقتها بالتنشئة الاجتماعية، التي كان يتلقاها الأطفال، والتي تجعلهم يلتصقون بمؤسسة العائلة. مما جعل من العائلة الممتدة الخاصية الأساسية لهذه المؤسسة، والتي تمتص الفرد وتخضعه للسلطة الأبوية(131). ظلت تبعية المرأة للرجل حاضرة في معظم الكتابات،

---

(127) Rahma, Bourqia. Femmes rurales. Op. Cit. P. 103.

(128) Centre de Recherches et d'Etudes sur les sociétés Méditerranéennes. Op. Cit. P. 29.

(129) Rahma, Bourqia. M, charrad. Gallagharn. Femmes culture et société au Maghreb, Afrique - Orient 1996.Tome, I . P.39.

(130) المختار،الهراس وإدريس،بنسعيد .الثقافة والخصوبة، دراسة في السلوك الإنجابي بالمغرب .دار الطليعة للطباعة والنشر .بيروت ، لبنان .1996. ص. 74.

(131) Jaques, Berque . Op. Cit. P. 34.

التي اهتمت بالواقع القروي، بل هناك من الدراسات من اتخذت من سلطة الرجال على النساء محورا لها .لقد ظلت سلطة الرجال على النساء مطلقة داخل الأسرة القروية .كما تستند هذه السلطة على مرجعيتين، إحداهما دينية تتجلى في كون الرجال قوامون على النساء، وثانيهما اقتصادية تتجلى في كون الرجال يصرفون خيراتهم على النساء(132). مما شكل ثقافة تبعية المرأة للرجل .

انطلقت إذن، هذه الدراسات والأبحاث في دراساتها لتغير الأسرة المغربية كنتيجة حتمية لانتشار التمدن والتصنيع .كما أن بعض هذه الدراسات اتخذ المرأة كمدخل أساسي في دراسة التغير الأسري بالوسط القروي المغربي .تعكس هذه الدراسات ارتقاء مستويات تعليم المرأة في المجال الحضري وخروجها للعمل، مما زاد من توسع هوامش الحرية لديها، بينما تذهب دراسات أخرى إلى ازدواجية الأدوار الاقتصادية والاجتماعية للمرأة القروية، وخاصة بشمال المغرب .

أما الدراسات التي اهتمت بالتغير النوعي للمرأة داخل الأسرة، فإنها ركزت على ارتفاع مستويات تعليمها وفتح الفرص أمامها بشكل متساو في التعليم ومتابعة التعليم إلى أعلى المستويات، وكذلك نتيجة الدعم الذي حظيت به. ولم يخلو الأمر من بعض الدراسات والأبحاث التي عبرت عن آراء بعض الفئات، التي ما تزال تؤيد المواقف النمطية لأعضاء الأسرة المغربية (133)، فقد تم نشرها في شكل توجيهات وإرشادات تدافع عن الأسرة التقليدية(134). تتصف هذه الكتابات، بالميل إلى عزل الأسرة عن سياقها الطبيعي، مع إغفال الطبيعة التسلطية للعلاقات الأسرية.

إن ما يمكن أن نصف به هذه الدراسات من الناحية العلمية هو كونها تناولت التغير الأسري ، من خلال ثنائيتي التقليد والحداثة ، معتبرة أن التغير هو عملية تهدم للثقافة التقليدية وبناء ثقافة أسرية حديثة ، هذا ما جعل جل الباحثين يولون اهتماما بالغا للأسرة في تفاعلاتها مع الديناميات الخارجية .

---

(132) Sophie, Bessis. Souhyr, Belhassen . Femmes du Maghreb : L'enjeu . Ed, J . Clattés, 1992. P .16.

(133)أقصد الكتابات التي تنطلق من أسطورة العائلة التقليدية كمرجعية أساسية للأسرة، وتدرس التغير الأسري بنظرة تشاؤمية.

(134) كثيرة هي الكتابات التي تنطلق من أيديولوجية التقليد لتنتقد التغير الأسري، وتدعوا المجتمع إلى العودة إلى الأسرة ذات التقاليد العريقة .وما تتميز به هذه الكتابات هو بعدها عن التحليل العلمي، غياب منهج علمي في دراسة التغير، عدم البحث في عوامل التغير ونتائجه . عن الباحث .

خاتمة

إن الأسرة القروية بالمغرب ، توجد اليوم أمام تحديات عدة ، ترتبط بالأساس ، بغلاء مياه السقي، وبمشاكل ترتبط بالأرض، وضيق المجال الرعوي، جفاف بعض العيون بالواحات ، والأمراض التي باتت تهدد أشجار النخيل . مما أقحمها في سوق استهلاكي أصبح يثقل كاهلها . هذه التحديات جعلت ، معظم أعضاء الأسرة، خاصة، الشباب منهم ينسحبون من حلقات الإنتاج الفلاحي والرعوي، لينضموا إلى فئات المرشحين أو المقبلين على الهجرة سواء منها الداخلية أو الخارجية .لقد كان لهذا الانسحاب دور كبير في تعطيل إحدى أهم وظائف التربية ، التي كانت تتم داخل الأسرة، التي كانت تهتم بنقل المعارف الخاصة بشؤون الفلاحة وتربية الماشية وثقافة البداوة والحياة القروية من جيل إلى جيل .مما زاد من حجم التقاطع بين الأجيال داخل الأسرة القروية . لقد تبين لي كذلك من خلال هذه الدراسات التي اهتمت بالأسرة القروية ، أن التواصل داخلها، أصبح يخضع لثقافة النقود، هذه الثقافة، التي أضحت تؤسس لتراتبيات اجتماعية جديدة . مما ساهم في ظهور ثقافة الصراع بين الأجيال .إن الوسط القروي بالمغرب، شهد حركية اجتماعية قوية، وذلك بانتقال عدة أسر من أوضاع اقتصادية واجتماعية سيئة إلى أوضاع أحسن، بسبب الهجرة الدولية أو الهجرة الداخلية .كما تراجعت وضعيات أسر أخرى، ظلت تعتمد على الاقتصاد التقليدي، الذي يهدده الجفاف وتجزؤ الأرض والضغط الديموغرافي .هكذا إذن، صارت الحياة القروية تعرف حركية اجتماعية تصاعدية وتنازلية .كما تعرف حركة أفقية ، وذلك بإنتقال أسر من وضع اجتماعي إلى آخر دون تحقيق الترقي الاجتماعي .تبين لنا، كذلك، أن هناك حركية فيما بين الأجيال، بحيث صار الأبناء يحتلون أوضاعا أرقى من آبائهم.

إن الأسرة القروية بالمغرب، كانت قبل التحولات السوسيو إقتصادية، التي عرفها المغرب، مهيكلة بطريقة شبه قارة، حيث كانت التراتبيات داخلها محددة سلفا، وواضحة، تخضع لمنطق ذكوري .غير أن مشاريع التنمية التي عرفها المغرب و ما ارتبط بها من مشاكل سياسية وإدارية، كان لها تأثير كبير على مستوى حركية الأسرة. كما حدثت ديناميات جديدة، برز معها التنافس والصراع داخل الأسرة، حول امتلاك السلطة، وحول الاستحواذ على الخيرات والثروات، مع الإقبال على الهجرة الدولية، التي مكنت البعض من الحصول على رصيد من الرأسمال الاجتماعي، ساهم في تحسين مستوى العيش والترقي في السلم الاجتماعي، وهو ما كانت تحققه المدرسة فيما مضى.

أما على مستوى التضامن القرابي، فقد تبين لنا ، أن شبكة العلاقات القرابية للتضامن، بدأت تضعف شيئا فشيئا، بحيث أصبح من الصعب، أن يجد الفرد مساعدة من طرف أبناء القرابة الموسعة، وذلك نتيجة التنافس والصراع الحاصل حول امتلاك الثروة ، وهذا الوضع ساهم في خلق قرابات بديلة، تتحكم في تأسيسها التقاطعات الاقتصادية والاجتماعية بين الجماعات . إن عدم تأمين الفلاحة الدخل لأسر عديدة ، ولد لديها ثقافة الخوف على المستقبل، ويبدو هذا الخوف عند الأسر التي لازالت تعتمد على الفلاحة، فأمام ارتفاع تكاليف السقي، وتراجع الإنتاج الفلاحي، فقد تولد لهذه الأسر شعور بغياب الأمن الاجتماعي، مما جعلها تترقب الطوارئ . ونظرا لغياب ما يضمن الدخل المنتظم لهذه الأسر، حتى تلبي كل احتياجاتها الأساسية، كالتغذية، والصحة والسكن والتعليم ، فإن هذه الأسر ، تعيش داخل مناخ تسيطر عليه، المجازفة، وعدم الاطمئنان، ويتجلى ذلك، في فقدان الثقة في الأرض، في الأبناء، وفي المدرسة، فالبطالة تهدد الأبناء، والتقلبات الطبيعية تهدد الإنتاج ، وكل هذا أضحى يهدد مصير الأسرة القروية بالمغرب . مما جعلها تترقب المستقبل بقلق دائم.

مراجع باللغة العربية

1 . البزاز، محمد الأمين، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل و أطروحات رقم 1992-18.

2. التوفيق، أحمد .المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1950-1812) ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أطروحات ورسائل (1) 1983.

3. الحسيني، السيد . مفاهيم علم الاجتماع، الطبعة الثانية، دار قطري بن فجاءة للنشر والتوزيع 1987 .

4. الزيات ، أحمد حسن . حامد عبد القادر وآخرون . المعجم الوسيط ، القاهرة : مطبعة مصر ، 1960-1961 القاهرة

5. الضبع، عبد الرؤوف .علم الاجتماع العائلي .دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر . 2002 الإسكندرية .

6. العثماني، وسام .ب العائلة العربية ادراسات في المجتمع العربي المعاصر . تحرير خضر زكرياء . الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع .سورية . دمشق .الطبعة الأولى، 1999 .

7. القباج، محمد مصطفى .ب الطفل المغربي وأساليب التنشئة الاجتماعية بين الحداثة والتقليدا دفاتر التربية سلسلة الطفولة، منشورات رمسيس، الرباط،1997 .

8. القصير، عبد القادر .الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة، دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري، دار النهضة العربية، بيروت، 1999 .

9. المرنيسي، فاطمة .نساء الغرب، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الطبعة الأولى، 1985 ، الرباط.

10. المرنيسي ، فاطمة . «تطور العائلة المغربية المعاصرة» مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية ، بالرباط ، العدد الثالث والرابع . سنة 1978 م.

11. الهراس، المختار .بالعمل والعائل : دراسة سوسيولوجية لمشتركات قروية بشمال المغربا . مقربات امرأة موزعة، نشر الفنك، الدار البيضاء 01 المغرب فضالة المحمدية، نونبر، 1988 .

12. الهراس، المختار .بن سعيد، إدريس. الثقافة والخصوبة، دراسة في السلوك الإنجابي بالمغرب .دار الطليعة للطباعة والنشر .بيروت ، لبنان. 1996 .

13. الهراس ، المختار . تطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي ، مطبعة الرسالة ، 1988 ، الرباط.

14. بلتاجي محمد .دراسات في أحكام الأسرة، مكتبة الشباب، 1990. الرباط.

15. بنوار عبد الفتاح. قانون الأحوال الشخصية والأسرة، المجموعات القانونية والقضائية المغربية،. .1995 MAJURIS

16. بورقية، رحمة .الدولة والسلطة والمجتمع، دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، بيروت دار الطليعة،1991.

17. بوتفنوشت، مصطفى، دمري أحمد .العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة. ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر.1984 .

18. بوشرب، أحمد .مغاربة في البرتغال خلال القرن السادس عشر،دراسة في الثقافة و الذهنيات بالمغرب من خلال محاكم التفتيش الدينية بالبرتغال، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، رسائل وأطروحات رقم 36 سنة 1996 .

18. زايد، أحمد . وآخرون، الكتاب العلمي السنوي الأول، الأسرة في الجزيرة العربية، المجلد الأول، الرياض، 1992.

20. زايد، أحمد .بالأسرة والمدينة والخدمات الاجتماعية المنظور السوسيولوجيا ، الأسرة والمدينة والتحولات الاجتماعية بين التنمية والتحديث، مجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول

21. زكي، صلاح الدين .أحكام قانون الأسرة في الفقه الإسلامي والتشريع المغربي ، مطبعة النجاح الجديدة ،1985.

22. شقرون، محمد . «نظام القرابة والعائلة في المجتمع المغربي» مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 13 السنة.1987.

23. شقر ون ، محمد . مفهوم العائلة : استعمالاته وتطبيقاته في المجتمع المغربي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية . الرباط .العدد . 11السنة.1985.

24. عاقل، فاطمة .الصناعة الفلاحية وتحول المجال الريفي : حالة سهل تادلا، بحث جامعي، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، .1985.

25. معن، خليل عمر .علم الاجتماع الأسرة . دار الشروق للنشر والتوزيع . 1994 .

26. وزارة التشغيل والشؤون الاجتماعية، الميثاق الوطني للأسرة، السنة الدولية للأسرة،1994.

مراجع باللغة الفرنسية والإنجليزية

1. Alaoui, EL Mdaghri, Chérifa. Les conditions de la femme au Maghreb et en Méditerranée. Publications de l'Association des Etudes Internationales, 2001.
2. Alaoui, Fatima. Le rôle économique de la femme dans le milieu rural , collection femmes 1989.
3. Alaoui El hassan . La planification familiale au Maroc, Ed , L'ère Nouvelle, 1979.
4. Alerini Andrée, Oscar Mange «Evolution de la famille traditionnelle et patriarcale dans la tribu des Irhezrane de l'annexe d'Ahermoumou » , La famille Marocaine, faits et Idées, les cahiers de fait et Idées, 5° Session 25 et 26 Février, 1956 .
5. Ariba A. - Revenus des exploitations agricoles dans la région des Doukkala. 1989.
6. Association Démocratique Des Femmes Du Maroc, L'image de la femme et les violences symboliques à son égard au Maroc, 2000.
7. Association Marocaine Pour L'étude Des Sols. Première Etude sur les Sols du Tadla. Imprimeries Reunies. Casa Blanca. 1941.
8. Association Maghrébine pour l'étude de la population_ la famille au Maghreb. Rabat, 1985.
9. Bakkar, Rabia. « Ecoute et regard: La télévision et les Transformation Spatiales en Algérie» In Miroirs maghrébins, Itinéraires de soi et paysages de Rencontre, Paris, Ed, du CNRS, Cop, 1998.
10. Bakkar, Rabia. Famille Maghrébines en France, l'éprouve de la ville. Paris, Presses Universitaires de France,1999.
11. Bartnez, Alice. Famille travail et agriculture, Economica 49 Mettericast. 1982.
12. Basagana, Ramon. Syad, Ali. Habitat traditionnel et structures familiales, Mémoires, au centre de recherches anthropologiques, préhistoriques et Ethnographiques, XXIII, 1973.
13. Belarbi, Aïcha. « Femmes Rurales et Technologie » In : Femmes Rurales, Ed, le fennec, 1996. Contribution , p 87-101 .
14. Ben Salah, Nouzha . Familles Turques et Maghrébines aujourd'hui , Evolution dans les espaces d'origine et d'immigration. Ed , Maisonnée et la rose , Paris, 1994 .
15. Bennis, A. : Les problèmes du Mariage au Maroc. La Nation africaine, Rabat. Octobre 1964.
16. Berque, Jacques. Structures Sociales du Haut- Atlas, Ed . Presses Universitaires du France. 1978.

17. B.E.S.M: Problème de l'habitat rural dans la province d'agadir, la cellule rurale familiale Vol. XXI Janvier, 1958 .

18. Boubeker, Ahmed. Famille de l'intégration : les ritournelles de l'ethnicité en pays, Paris, Stock,1999.

19. Boukhobza , Noria. Les femmes dans l'ombre du Jour : Histoire d'une famille entre l'Algérie et la France, Castelnaud -la- chapelle : L'Hydre,2002.

20. Bourqia, R. Charrad, M. Gallagharn. Femmes Culture et Société au Maghreb, Afrique Orient , Casablanca , 1996. Tome 1.

21. Bourqia, Rahma. «Les Beni Guil du Maroc Oriental» In : Femmes rurales, Collection dirigée par Aicha Belarbi, Ed Le fennéc, 1996.

22. Centre de Recherche et d'études sur les sociétés Méditerranéennes Jeunesse, Famille et Développement, Essai sur le changement socio - culturel dans un pays du tiers Monde (Tunisie). Ed, C N R S , Anatole France. 1973 .

23. Centre Français sur La population et le développement. Ménages et familles en Afrique , Approches des dynamiques contemporaines. E H E S S - I N E D - I N S E , O R S TO M- Universities, Paris VI Copyright, C E P E D, 1997.

24. C E R E D, Croissance démographique Et Développement Du Monde Rural, 1995.

25. Cohen, Steve. Immigration Controls, The Family and the welfare State : a handbook of law, theory, politics and practice for local authority, theory, London. J. Kingsley Publications, 2001.

26. Colonna, Fony. Daoud, Zakya. être Marginal au Maghreb, CNRS Ed Saint - Ahmed 1993.

27. Combe, Julie. La condition de la femme marocaine, Paris : L'Harmattan, Cop.2001.

28. Colona, Fanny. les versets de l'invincibilité permanence et changements religieux dans l'Algérie contemporaine. Presses de la Fondation Nationale des Sciences politiques Paris 1995.

29. Dachi, A. Revenues de la petite et moyenne paysannerie. Cas de trois zones du Haouz de Marrakech, Oydayas, Jnanate et Tamelalt IAV Hassan II Rabat, 1988.

30. Daoud, Zakya, Féminisme et Politique Au Maghreb, Ed, Eddif, 1996.

31. Dirar, Abdeslam. Situation de la femme : entre la Société Moderne et la Société Traditionnelle. In Condition féminine au Maroc, Casablanca, Impr. Najah El Jadida,2003.

32. Direction de la Statistique, Séries Communales Rural. R.G. P.H .1994.

33. Direction De La Statistique. Etudes Démographiques. Famille à Fès, Changement ou Continuité, Les Réseaux de Solidarités Familiales, C. E. R. E. D, 1991.

34. Direction De La Statistique. Les Région Du Royaume Dynamique Démographiques et Socio- économique 1982-1994 Série Thématique. Rabat. 1998.

35. Direction de la Statistiques. Recensement Général de la Population et de L'habitat, de 1994. Série Communale- Rural. Rabat, 1994.

36. Direction de Statistiques, Enquête Nationale Sur La Famille, Rapport de Synthèse, Direction de Satistiques, Rabat, 1995.

37. El Aleoui, F. L'analyse des revenus des exploitations agricoles : cas du périmètre du Loukkos IAV Hassan II Rabat 1988.

38. El Harras, Mokhtar. La politique Familiale au Maroc, Ministère Chargé de Condition de La femme, La protection de la famille, de l'enfant et l'intégration des Handicapes, Avril, 2001.

39. Mokhtar , El Harras . « Evaluation critique de quelques études récentes sur la famille rurale au Maroc » , Portraits de Femmes, Ed. le Fennec, 1987.

40. François, de Singly. Sociologie de la famille contemporaine. Ed. Natham 1993.

41. Ftouhi, Abdelkader. Les revenues des agricultures dans le périmètre du Tadla, Institut Agronomique et Vétérinaire Hassan II. 1984.

42. Guy, Rocher . Introduction à la sociologie générale, 3 . Le Changement social, Ed, H M H, 1968.

43. Horizon Maghrébin, Population Et Société au Maghreb, Créer Productions, Tunis, 1977.

44. Julien, Couleau. La paysannerie Marocaine. Centre de Recherche Sur L'Afrique 15 Quai Anatole, France, Paris, VII. 1968.

45. Kattani, Dris. La Famille Traditionnelle, In : Les Cahiers de Sociologie, Ed, Institut de Sociologie De L'Université Mohammed V. 1966.

46. Mlle Masson. Notes sur la femme Marocaine Entretien sur l'évolution des pays de civilisation arabe. Publications du centre d'études de politique étrangère paris (7è) juillet 1938.

47. Ministère chargé de la population. Enquête Nationale, Sur la famille 1995 rapport de Synthèse. Royaume du Maroc, Premier Ministre. 1996.

48. Ministère de l'emploi et Des affaires sociales. Charte Nationale de la Famille, Année Internationale de la Famille, 1994. P.5.

49. Pascon, P. et E, Mohammed. Les paysans sans terres Maroc. Editions Toubkal. 1986

50. Pascon, P. Sociologie du Développement Rural : Pourquoi la paysannerie suivant-elle le développement ? IAV HII. BUCAREST. Mars, 1984.
51. Pascon, Paul. « Entretien avec Tahar Ben Jalloun », In: Bulletin économique et social du Maroc, 30ans de sociologie du Maroc, Janvier1986, N°155-156.
52. Pascon, Paul. Considérations préliminaires sur l'économie des exploitations agricoles familiales, In : Etudes rurales : Rabat, SMER, 1980.
53. Pechinenda, Gianfranco. La Mémoire Collective des femmes de la Méditerranée dans l'émigration : études de cas, Naples et Tunis, Paris, Publisud, 2001.
54. P.N.U.D, «Participation Des Femmes Rurales au Développement» Etude D'évaluation N°3, Programmes Des Nations Unies Pour le développement , Juin, 1980.
55. Prefol, Pierre. Prodige de l'irrigation Au Maroc, Le développement exemplaire de Tadla 1936- 1985. Nouvelles Editions Latines. Paris. 1986.
56. Pruvost, Lucie. Femmes d'Algérie, Société, Famille et citoyenneté, Alger, Casbah éditions, 2002.
57. Radi, Abdelwahd. « L'adaptation de la famille au changement social dans le Maroc Urbain» In : Bulletin économique et social du Maroc, N° 135. 1977.
58. Rhissassi, Fouzia. Women's Spaces, Kingdom of Morocco, Mohammed V University, Publications Of the faculty Of letters and Human Sciences – Rabat, Series : Conferences and Colloquia – N° Immprimerie Najah El Jadida, Casablanca, 2001.
59. Segalen, Martine. Sociologie de la famille. Armand Colin - Masson, Paris. 4eme Edition, 1996.
60. Zontini, Elisabetta. Family Formation in gendered migration, Moroccan and Philipino women in Bologna. In : The Mediterranean passage : migration and new cultural encounters in Southern Europe Liverpool, Liverpool University Press, 2001. U . K .